

ذكر بناء الصناعة بالروضة

قال الكندى: بنيت بالجزيرة الصناعة فى سنة أربع وخمسين. والصناعة: اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية، وأول صناعة عملت بأرض مصر التى عملت بالروضة فى سنة أربع وخمسين من الهجرة، فاستمرت إلى أيام الإخشيد، فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر، وجعل موضع الصناعة التى بالروضة بستانا سماه المختار^(١).

قال المقرئى: وكان نقل الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

وقال (ابن ميسر)^(٢) 1: فى سنة عشرة وخمسمائة نقل المأمون البطائحى الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التى بجزيرة مصر إلى الصناعة القديمة بساحل مصر، وبنى عليها منظره كانت باقية إلى آخر أيام الدولة العلوية. انتهى.

وهذا يدل على أن الصناعة أعيدت إلى الروضة بعد أن أبطلها الإخشيد، حتى نقلت ثانيا فى السنة التى ذكرها ابن ميسر^(٣).

(١) فى الأصل: المختار. وقال فى الهامش: صحتها المختار.

(٢) ما بين القوسين جاء مكانه فى ج: ميسرة.

(٣) فى ج: ميسرة.

1 هو أبو عبد الله، تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن ميسر، مؤرخ مصرى. توفى بالقاهرة سنة

٦٧٧ هـ.

وقال ابن المأمون 1: كانت جميع المراكب الأساطيل ما تنشأ إلا بالصناعة التي بالجزيرة، فأنكر الوزير المأمون ذلك، وأمر بأن يكون إنشاء الشوانى (١) وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر، وأضاف إليها دار الزيب، وأنشأ المنطرة بها، واسمه إلى الآن باق عليها، وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدم (٢) الأساطيل ورميها بالمنطرة المذكورة، وأن يكون ما ينشأ من الحرابى والشلنديات 2 فى الصناعة بالجزيرة.

وذكر ابن أبى طى (٣) 3: أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلاً فى البحر فى مدينة (٤)، وعمل دار صناعة بالمقس 4.

وقال القضاى فى الخطط: كانت الصناعة بالجزيرة، فنقلها الإخشيد إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وبنى مكانها الجنان المعروفة بالمختار، وكان السبب فى تحويل الصناعة من الجزيرة أن بجكم التركى وعلى بن بدر ولطيف غلام النوشرى لما خالفوا على الإخشيد انحدروا فى مراكبهم، فنزلوا الجزيرة، وملكوا الصناعة.

فركب الإخشيد فى جيشه حتى وقف على الساحل، فنظر إليهم فقال: صناعة

(١) فى الأصل: السراير. والشوانى: جمع شينى أو شينية، وهى سفينة من أكبر السفن الحربية فى مصر آنذاك.

(٢) فى الأصل: تقدمت. وما أثبتناه أوفق بالسياق.

(٣) فى ب، جـ: يحى.

(٤) فى الأصل: مدينته.

1 هو أبو الغنائم، عبد الصمد بن على بن محمد الهاشمى العباسى البغدادى، سمع جده أبا الفضل بن المأمون، والدارقطنى، وجماعة، ويقول عنه السمعانى: إنه كان ثقة نبيلاً مهيباً تعلوه سكينه ووقار. توفى فى شهر شوال من سنة ٤٦٥ هـ، وله تسع وثمانون سنة.

2 الحرابى والشلنديات: اسم مراكب كانت مخصصة لنقل الأدوات الحربية والمقاتلين.

3 هو يحى بن حميدة بن ظافر بن على بن عبد الله الغسانى الحلبى، الشهير بابن أبى طى النجار، عالم بالأدب ومؤرخ شيعى من أهل حلب. توفى سنة ٦٣٠ هـ.

4 المقس: اسم مكان كانت تؤخذ فيه المكوس والضرائب. ويسمى أيضاً: المقسم.

يحال بينها وبين صاحبها ^(١)، ما هذه صناعة. اعملوا الصناعة ههنا. فلما انكشفوا ورجع الإخشيد، أمر بالصناعة فحولت إلى موضعها ^(٢) هذا.

*** ذكر من كان ^(٣) بالروضة في أيام عبد العزيز بن مروان :**

قال ابن عبد الحكم 1: وكان بالجزيرة في أيام عبد العزيز بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل، أعدت لحريق - إن كان - في البلاد أو هدم.

*** ذكر من تولى الروضة نيابة عن ^(٤) عبد العزيز بن مروان :**

قال القضاعى في الخطط: يقال إن أبا غنيم ^(٥) كان قد ولى الجزيرة بمصر من قبل عبد العزيز بن مروان، ثم عزله عنها، وكان يجلس في (علو داره) ^(٦) التى تسمى دار النيل ^(٧)، وهو ينظر إلى الجزيرة.

*** ذكر الحصن الذى بناه السلطان أحمد بن طولون بالروضة :**

قال القضاعى: حصن الجزيرة بناه ^(٨) أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه وماله، وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا من العراق واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون، وذلك فى خلافة المعتمد على الله، فلما بلغ أحمد بن طولون مسيره تأمل مدينة فسطاط مصر، فوجدها لا تؤخذ إلا من جهة النيل، فبنى الحصن بالجزيرة التى بين الفسطاط والجزيرة؛ ليكون (مغلقة لحرمة) ^(٩) وذخائره، واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من العشاريات 1 وغيرها،

(١) زاد بعدها فى الأصل: وبينها. وهى مقحمة.

(٢) فى الأصل: يومنا.

(٣) فى الأصل: تولى.

(٤) لم ترد هذه اللفظة فى الأصل.

(٥) فى ب، جـ: عيشم.

(٦) فى ب، جـ: عمله وداره.

(٧) فى ب، جـ: القبلة.

(٨) لم ترد هذه اللفظة فى الأصل.

(٩) فى الأصل: حرما لمعقله. وفى جـ: مغلا لحرمة.

العشاريات 1 وغيرها، فلما وصل موسى بن بغا إلى الرقة تهاقل عن المسير؛ لعظم شأن ابن طولون وقوته، ثم لم يلبث موسى أن مات، وكفى ابن طولون أمره.

وقال في ذلك محمد بن داود:

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا	ساقيه دركا ^(١) إلى الكعبين والعقب
بنى ^(٢) الجزيرة حصنا يستجن به	بالعسف والضرب والصناع فى تعب
ووائب الجزيرة ^(٣) القصوى فخذقها	وكاد يصعق من خوف ومن ريب
له مراكب فوق النيل راكدة ^(٤)	لما سوى (القار للقنطار) ^(٥) والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت	والشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا	لكن بناها غداة الروع للهرب ^(٦)

وما زال حصن الجزيرة عامرا أيام ابن طولون، حتى أخذه النيل شيئا فشيئا، وقد بقيت منه بقايا متقطعة إلى الآن، وقد ألف القاضي أبو عمرو عثمان النابلسى كتابا وسماه: (حسن السرية^(٧) فى اتخاذ^(٨) الحصن بالجزيرة)، ولم أقف عليه. ولكن المقرئى ينقل عنه كثيرا، ومما نقله عنه أنه قال فيه: « رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كراسا مضمونة فهرست أسماء شعراء الميدان الذى لأحمد بن طولون. قال: فإذا كان

1 فتوح مصر، ص ١٩٧.

(١) فى الأصل: درقا.

(٢) فى الأصل: ملأ.

(٣) فى ب، جـ: الجزيرة.

(٤) فى الأصل: راكبة.

(٥) فى ب، جـ: النار للنظار.

(٦) فى ب، جـ: والطلب.

(٧) فى ب، جـ: السيرة.

(٨) فى ب، جـ: بناء.

1 العشاريات: نوع من المراكب يجرب بعشرين مجدافا، يستعمل فى نقل البضائع.

أسماء الشعراء في اثنتي عشرة كراسا، كم ^(١) يكون شعرهم ؟ قال: مع أنه لا يوجد من ذلك الآن ديوان واحد « 1.

وذكر أبو الخطاب بن دحية 2 أن قطائع أحمد بن طولون كان بها أكثر من مائة ألف دار خربت، وهلك من فيها من الغلاء العظيم الذي كان أيام المستنصر.

وحدث محمد بن أبي يعقوب الكاتب قال: لما كانت ليلة عيد الفطر سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح، وملونات البنود والأعلام والثياب، وكثرة الكراع، وأصوات الأبواق والطبول، فاعترتني لذلك فكرة، ونمت في ليلتي، فسمعت هاتفًا يقول: ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون.

وقال (سعيد القاضي) ^(٢) يرثي آل طولون، ويذكر الحصن الذي بالجزيرة:

جرى دمه ما بين سحر ^(٣) إلى نحر	ولم يجر حتى أسلمته يد الصبر ^(٤)
وبات وقيداً 3 للذي خامر الحشا	يئن كما أن الأسير من الأسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى	يبست على جمر ويضحى على جمر
تتابع أحداث يخفقن ^(٥) صبره	وغدر من الأيام والدهر ذو غدر
أضاف على رغم الأنوف وجدعها	ذوى الدين ^(٦) والدنيا بقاصمة الظهر

(١) في الأصل: كيف. والمثبت أوفق بالمعنى.

(٢) في ب: سهيل بن العامري. وفي جـ: سهيل بن العامر.

(٣) في ب، جـ: بحر.

(٤) في ب، جـ: النصر.

(٥) في الأصل: يخفض. وفي ب: تحققن

(٦) في ب، جـ: المدن.

1 الخطط (١/٣٢٦).

2 هو أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الكلبي، أديب ومؤرخ، من أهل بلنسية بالأندلس، رحل إلى بلاد المشرق واستقر بمصر. توفي سنة ٦٣٣ هـ.

3 الوقيذ: الشديذ المرض المشرف على الموت.

طوى زينة الدنيا ومصباح إلفها^(١)
وفقد بنى طولون فى كل موطن
فبادوا^(٢) وأضحوا بعد عز ومنعة
وكان أبو العباس أحمد ماجدا
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها
يدل على فضل ابن طولون همة
فإن كنت تبغى (شاهدا ذا)^(٣) عدالة
فبالجبل الغربى خطة يشكر
يدل ذوى الألباب أن بناءه
بناه بأجر وساج وعرعر
بعيد مدى الأفطار سام بناؤه
فسيح الرحاب^(٤) يحسر الطرف دونه
وتنور فرعون الذى فوق قلة
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه
تخال سنا قنديله وضيائه

بفقد بنى طولون والأنجم الزهر
أضر على الإسلام فقدا من القطر
أحاديث لا تخفى على كل ذى حجر
جميل المحيا لا يبيت على وتر
وإشراقها فى عصره ليلة القدر
محلقة بين المساكين والقفور
يخبر عنه بالجلى من الأمر
له مسجد يغنى^(٥) عن المنطق الهذر1
وبانيه لا بالغبى^(٥) ولا الغمر
وبالمرمر المسنون والجص والصخر
وثيق المبانى من عقود ومن جدر
رقيق نسيم طيب العرف والنشر
على جبل عال على شاهق وعر
ويهدى به (فى الليل إن ضل من يسرى)^(٦)
سهيلا2 إذا ما لاح فى الليل للسفر

(١) فى ب، جـ: أهلها.

(٢) فى ب، جـ: فنادوا.

(٣) فى ب، جـ: شاهدان.

(٤) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٥) فى ب: بالفتى. وفى جـ: بالغنى.

(٦) فى الأصل: رحاب.

(٧) فى الأصل: فى الليل من ضل أن يسرى. وفى جـ: من ضل فى الليل من يسرى.

1 الهذر: سقط الكلام.

2 سهيل: نجم يقتدى به المسافر فى طريقه.

وعين معين الشرب عين زكية
كان وقود النيل فى جنباتها
فأرجاؤها مستنبط لمعينها^(٢)
بناء لو ان الجن جاءوا بمثله
يمر على أرض المغافر كلها
قبائل لا نوء السحاب يدها
ولا تنس مارستانه واتساعه^(٤)
وما فيه من قوامة وكفاية
فللميت المقبور حسن^(٥) جهازه
وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملا
تجد أثرا لم يبق من يستطيعه
(مآثر لا تبلى وإن باد أهلها
لقد ضمن القبر المقدر^(٨) ذرعه
وقام أبو الجيش ابنه بعد موته

وعين أجاج للرواة وللظهر
تروح وتغدو بين مد إلى جزر^(١)
من الأرض من بطن عميق إلى ظهر
لقليل لقد جاءت بمستقطع نكر
وسفيان والأحمور والحي من يسر^(٣)
ولا النيل يرويهها ولا جدول يجرى
وتوسعة الأرزاق للحول والشهر
ورفقهم بالمعتفين ذوى الفقر
وللحي رفق^(٦) فى علاج وفى جبر
إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر
من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
ومجد يؤدى وارثيه إلى الفخر^(٧)
أجل إذا ما قيس من قبتى حجر
كما قام ليث الغاب فى الأسل1 السمر

(١) فى الأصل: زجر.

(٢) فى ب، ج: لحسنها.

(٣) فى الأصل: بسر.

(٤) فى الأصل: وارتفاعه.

(٥) فى الأصل: حصن.

(٦) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٧) هذا البيت ليس فى ب، ج.

(٨) فى الأصل: المضمن.

1 الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الأطراف.

أنته المنايا وهو فى أمن داره
كذاك الليالى من أعارته بهجة
وورث هارون ابنه تاج ملكه
وقد كان جيش قبله فى محله
فقام بأمر الملك هارون مدة ^(١)
وما زال حتى زال والدهر كاشح
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا
فمن ييك شيئا ضاع من بعد أهله
ليك بنى طولون إذ باد عصرهم

*** ذكر ما بنى بالروضة من المتنزهات :**

« ذكر المختار » :

قال المقرئى 3: نقل الإخشيد الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان
سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وبنى مكانها البستان المختار، وصرف على بنائه خمسة
آلاف دينار، واتخذة متنزها له، وصار يفاخر به أهل العراق، ولم يزل متنزها إلى أن
زالت الدولة الإخشيدية والكافورية، وقدمت الدولة العبيدية، فكان يتنزه فيه المعز
والعزيز، وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، بها وال وقاض، وكان يقال:
القاهرة، ومصر، والجزيرة.

وقال على بن سعيد فى المغرب: للمختار هذا ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره.

(١) فى ب، ج: بعده.

1 الهصر: الافتراس.

2 الكظظ: المهم.

3 الخطط (١٨١/٢).

* ذكر الروضة التي سميت بها الجزيرة:

قال المقرئى 1: لما استولى الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى أنشأ فى بحرى الجزيرة مكانا نزها سماه (الروضة)، وتردد إليه ترددات كثيرة، ومن حيثئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة.

وقال ابن ميسر^(١) فى (تاريخ مصر): أنشأ الأفضل الروضة بحرى الجزيرة، وكان يمضى كل يوم إليها فى العشاريات الموكبية إلى أن قتل، وكان قتله فى سنة خمس عشرة وخمسمائة.

* ذكر الهودج:

قال ابن ميسر^(١): لما استبد الخليفة الأمر بأحكام الله بالأمر، أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته البدوية عرف بالهودج، وذلك لما صعب عليها السكنى فى القصور، ومفارقة ما اعتادته من الفضاء، وكان الهودج على شاطئ النيل فى شكل غريب، ولم يزل الأمر يتردد إليه للتنزه فيه إلى أن ركب إليه^(٢) يوما، فلما كان برأس الجسر وثب إليه قوم كانوا قد كمنوا له بالروضة، فضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه، وذلك يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ونهب سوق الجزيرة ذلك اليوم.

وقال المقرئى 2: كان من متنزهات الخلفاء الفاطمية العجيبة البناء، البديعة الزى، بناء فى جزيرة الفسطاط - التى تعرف اليوم بالروضة - يقال له الهودج، بناه الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية - التى غلب عليه حبها - بجوار البستان المعروف بالمختار، وكان يتردد إليه كثيرا، وقتل وهو متوجه إليه، وما زال متنزها للخلفاء من بعده.

(١) فى ج: ميسرة.

(٢) فى ب، ج: فيه.

1 الخطط (٢/ ١٨١).

2 الخطط (١/ ٤٨٥).

قال ابن سعيد في كتاب الحلى ^(١): قال القرطبي في تاريخه: قد أكثر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها، وما يتعلق بذلك من ذكر الأمر، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك، والاختصار منه أن يقال: إن الأمر كان قد بلى بحب الجوارى العربيات، وصارت له عيون في البوادي، فبلغه أن جاء الصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم، شاعرة جميلة، فيقال إنه تزيا بزى بداء الأعراب، وكان يجول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حيها، وبات هناك، وتحيل حتى عاينها، فما ملك بصره، ورجع إلى قصر ملكه، وأرسل إلى أهلها فخطبها وتزوجها، فلما وصلت إليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت، وأحبت أن يسرح طرفها إلى الفضاء، ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة، فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط، المعروف بالهودج، وكان غريب الشكل على شط النيل، وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه، يعرف بابن مياح، فكتبت إليه:

يا ابن مياح ^(٢) إليك المشتكى	ما لكم من بعدكم قد ملكا
كنت في حى طليقا أمرا	نائل ^(٣) ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مرصد	لا أرى إلا خيثا ممسكا
كم تشينا بأغصان اللوى	حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى	حيثما شاء طليق سلكا

فأجابها:

بنت عمى والتى غذيتها بالهوى حتى علا واحتنكا

(١) في الأصل، ب، جـ: المحلى. وهو كتاب: المغرب في حلى المغرب.

(٢) في ب، جـ: عم.

(٣) في ب، جـ: نافلا.

بحث بالشكوى وعندى^(١) ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر إليه يشتكى مالك وهو الذى قد ملكا

قال: وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول، وكان فى عصر الأمر من
عرب طيئ طراد بن مهلهل. فلما بلغته هذه القصة قال:

ألا أبلغوا الأمر المصطفى مقال طراد ونعم المقال^(٢)
قطعت الألفين عن إلفه بها سمر الحى حول الرجال
كذا كان آباؤك الأكرمون؟! سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الأمر الخليفة لما بلغته الأبيات: جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله.

وطلب فى أحياء العرب فلم يوجد. فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد، باع
عدة أبيات^(٣) بثلاثة أبيات. وكان بالإسكندرية قاضيهامكين الدولة^(٤)، أبو طالب
أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد، ذو ثروة عظيمة، ويحتذى أفعال
البرامكة، وللشعراء فيه أمداح كثيرة، كظافر الحداد، وأمىة الأندلسى، وغيرهما،
وكان له بستان يتنزّه فيه، به جرن كبير من رخام قدر البركة، وهو قطعة واحدة
ينحدر فيه الماء، وكان يلذ برؤيته. فوشى به إلى البدوية محبوبه الأمر، فسألت الأمر
فى حمل الجرن إليها، فأرسل إلى ابن حديد بإحضاره، فلم يجد بدا من إجابته، فلما
صار إلى الأمر أمر^(٥) بعمله فى الهودج، فقلق ابن حديد من ذلك، فأخذ يخدم
البدوية وجميع من يلوذ بها بأنواع الهدايا الخارجة عن الحد فى الكثرة، حتى قالت:
هذا الرجل أخجلنا من كثرة تحفه، لعل^(٦) له حاجة عند الخليفة، فلما بلغه قولها

(١) فى ب، جـ: عند.

(٢) فى جـ: المال.

(٣) أى: أبيات الحى الذى كان يسكنه ويعيش فيه.

(٤) فى ب، جـ: الدين.

(٥) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

(٦) فى ب، جـ: أما.

قال: ما لي حاجة غير رد الجرن. فعجبت ^(١) من ذلك وردته، فعوتب في ذلك، وقيل له: تحصلت في حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب، فنزلت همتك إلى قطعة حجر. فقال: أنا ^(٢) أعرف بنفسى، ما كان لنفسى أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الجرن من مكانه، وقد بلغ الله نفسى أملها.

قال المقرئى 1: وما زال الأمر يتردد إلى الهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة يريد الهودج، وقد كمن له قوم في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة، فوثبوا عليه وأثخنوه ^(٣) بالجراحة، فحمل في العشارى إلى اللؤلؤة 2، فمات بها. وقيل: مات قبل أن يصل إليها. قال: وقد خرب هذا الهودج، وجهل مكانه من الروضة.

* ذكر المشتهى:

قال المقرئى 3: كان من مواضع الخلفاء الفاطميين التى أعدت للنزهة المشتهى بالروضة، وكانوا يركبون إليه يوم السبت والثلاثاء، فيعم الناس من الصدقات أنواع (ما بين) ^(٤) ذهب ومأكّل وحلوى وغير ذلك.

وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض 4 يذكر المشتهى (وكان يتردد إليه كثيرا) ^(٥).

(١) فى ب، جـ: فتعجبت عند الخليفة.

(٢) فى الأصل: إذا.

(٣) فى الأصل: واتخذوه.

(٤) ليست فى الأصل.

(٥) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

1 الخطط (١/ ٤٨٦).

2 اللؤلؤة: إحدى المناظر الفاطمية التى تطل على الشاطئ الشرقى للخليج بالقرب من باب القنطرة.

3 الخطط (١/ ٤٩٠).

4 هو أبو حفص شرف الدين عمر بن أبى الحسن على بن مرشد بن على، المعروف بابن الفارض، الحموى الأصل، المصرى المولد والدار والوفاة، من كبار شعراء الصوفية، أخذ الحديث عن الحافظ ابن عساكر، وعنه الحافظ المنذرى، له ديوان شعر. توفى سنة ٦٣٢ هـ.

جلق 1 جنة من تاه وباهى برباها غيرها^(١) لولا وباهها
 قال غال بردى كوثرها قلت غال برداها برداها
 وطنى مصر وفيها وطرى ولنفسى مشتهاها مشتهاها
 ولعيني^(٢) غيرها إن سكنت يا خليلى سلاها ما سلاها

وقال تقى الدين السروجى 2 فى تفضيل المشتهى على السبع 3 وجوه، أورده
 الصلاح الصفدى فى تذكرته:

أرى المشتهى فى روضة الحسن قد بدا على رصد المعشوق 4 فالقلب واحد
 لعمرى ما السبع الوجوه إذا بدت بمغنية عن وجهه وهو واحد
 وقال آخر:

يا ليلة عاش سرورى بها ومات^(٣) من يحسدنا بالكمد
 وبت بالمعشوق فى المشتهى وبات من يرقبنا بالرصد

ولله در العلامة شمس الدين بن الصايغ الحنفى 5 النحوى الأديب، حيث يقول
 موجهها:

(١) فى الأصل: غير.

(٢) فى ب، جـ: ولغىرى.

(٣) فى ب، جـ: وبات.

1 جلق: اسم دمشق.

2 هو تقى الدين عبد الله بن على بن منجد السروجى، شاعر، فيه فضل وأدب، ولد فى سروج، وتوفى
 بالقاهرة سنة ٦٩٣ هـ.

3 السبع وجوه: اسم قصر يعد إحدى المناظر فى العصر الفاطمى.

4 رصد المعشوق: الرصد: مكان عال كان يطل على البستان المعروف بالمعشوق.

5 هو محمد بن عبد الرحمن بن على بن أبى الحسن، شمس الدين بن الصائغ الحنفى النحوى، ولد قبل
 سنة ٧١٠ هـ، وبرع فى اللغة والنحو والفقه، وأخذ عن ابن المرحل وأبى حيان، وولى قضاء العسكر
 وإفتاء دار العدل بمصر، ودرس بالجامع الطولونى وغيره، وله مؤلفات فى العلوم القرآنية والحديث
 والنحو. توفى فى خامس عشر شعبان سنة ٧٧٦ هـ.

يا ليلة مرت بنا حلوة
لا يبلغ الواصف فى وصفها
وبت بالمعشوق فى روضة
إن رمت تشبيها لها عبتها
حدا ولا يلقي لها منتهى
ونلت من خرطومه المشتهى

وقال عمر بن الفارض موجهها أيضا:

لقد بسطت فى بحر جسمك بسطة
فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها
وقال القيراطى 1:
أشارت إليها بالوفاء أصابع
وأنت بها فى روضة الحسن يانع^(١)

رشق الصب بالسهام رشيق
هو فى مصر روضة ومحياه^(٢)
مشتهى حسنه هو المعشوق
وسيم يصبو إليه المشوق

وقال أيضا:

زربية 2 أضحى بها المنتهى
وهى لمن يدخلها روضة
وحسنها المعشوق والمشتهى
وجنة فيها الذى يشتهى

وقال أيضا^(٣):

أقسمت ما لك فى الملاحه مشبها
فدع العذول يقول عنى ما اشتهى

(١) فى ب: رابع. وفى جـ: رائع.

(٢) فى الأصل: ومحيا.

(٣) فى ب، جـ: بعضهم.

1 هو برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الله بن محمد القيراطى، فاق فى النظم والنثر، وبرع فى فنون عدة، له ديوان شعر، وتوفى بمكة سنة ٧٨١ هـ.

2 الزربية: خطة كانت على النيل، وأطلق عليها زربية قوصون فى العصر المملوكى؛ لإنشائه العمائر بها.

لو لم تكن فى مصر روضة ناظرى ما كان ذاك الوجه عندى المشتهى
وقال الصلاح الصفدى مجيباً:

وقفت على نظمك المشتهى وعانيت روضته اليانعه
فكم ألف مثل غصن النقا وهمزتها فوقها ساجعه
وقال أيضاً مضمناً:

قل للرقيب يسترح من رصدى ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف جفنه وكل شىء بلغ الحد انتهى
وقال القاضى صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى 1، أورده الصلاح
الصفدى فى تذكرته، والحافظ ابن حجر (فى الدرر الكامنة) (١):

بذا شعر الخد الذى كان مشتهى فأخفى عن المعشوق حالى وما يخفى
لقد كانت الأرداف بالأمس روضة من الورد (٢) وهى الآن موردة الحلفاء
كذا أورده وزينه فى بعض المجاميع بلفظ: وقد كانت الوجنات، وهو أمس
بالبيت الذى قبله.

وقال الجمال بن نباتة 3:

يا مذكرى بندى يديه وبابه شهوات مصر لنا وطيب حماها

(١) ليست فى ب، جـ.

(٢) فى الأصل: الأرض.

1 هو سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق، صدر الدين بن عبد الحق، ولد سنة ٦٩٧ هـ،
وقرأ القرآن على الشيخ مبشر الضرير، وسمع الحديث على الحجار، ودخل بغداد واليمن ثم دمشق
ثم مصر، وتولى فيها توقيع الدست، وكان ناظماً بليغاً فى التوشيح والزجل والموااليا.
2 موردة الحلفاء: منطقة كانت مواجهة للروضة.
3 هو أبو بكر، جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى، المعروف بابن نباتة المصرى،
حامل لواء الشعر والنثر فى عصر المماليك، له ديوان شعر مطبوع. توفى سنة ٧٦٨ هـ.

إن يحل عندي "مشتهى" أبوابه فلقد حلا من سكر هو ماؤها
وقال أيضا:

شكرا لها يا سيدى من نعمة بلغت من التأمل فوق المنتهى
لا زال مدحك كل سطر روضة تغزى لمصر وكل بيت مشتهى

وقال الصاحب فخر الدين بن مكانس 1:

وجنات المعشوق يا روضة الح سن ويا مشتهى الكئيب العانى
إن دمعى ماء السما وبقلبي حرقة يا شقائق النعمان

وقال آخر مطلع قصيدة:

يا مقلتى إن شئت أن تتزهى فى حسنه عما سواه تنزهى
هذا وروضة وجهه (لك مشتهى)^(١) فالعذر لم يقبل إذا لم تشتهى

وقال شمس الدين النواجى:

مها مرمى وجهه روضة وخده المعشوق لى مشتهى
يا طرفه الساجى وألحظه لله ما أحلى عيون المها

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى أول قصيدة يمدح بها النبى ﷺ:

شيخ اشتياق له بالباب تطفيل ودمعه سائل عنكم ومسئول^(٢)

(١) فى ب، جـ: للمشتهى.

(٢) فى ب: منقول. وفى جـ: مقبول.

1 هو أبو الفرج فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق، المعروف بابن مكانس، وزير دمشق وناظر الدولة بمصر، شاعر مشهور، له ديوان إنشاء، توفي سنة ٨٦٤ هـ.

والقلب مصركم والحسن روضته
وأنتم المشتهى والمدمع النيل
وقال أيضا:

أسفر وجها ورنا مقلة
يا خجلة البدر وظبي الصريم
فى مشتهى وجنته روضة
تزهو بوجه قمرى وسيم
وقال أيضا:

يا سيدا ألفاظه جواهر
مجلوبة بفكره الغطاس
وروضة تخصصا بالمشتهى
من بجرها الجارى بلا مقياس
أكرم بها من روضة وجزيرة
لكيسها يا ضيعة الأكياس
وقال أيضا:

ملأ العيون ملاحه وصباحه
بدر سبى^(١) بدر الدجى وصباحه
السكر من خرطومه لى مشتهى
(من روضة فى خده)^(٢) فياحه
وقال أيضا مطلع قصيدة:

أقاضى بدر الدين يا طيب الغرس
ويا روضة فى حسنها مشتهى النفس^(٣)

* ذكر استيلاء العبيد على الروضة:

ذكر المؤرخون أن فى سنة ست وخمسين وأربعمائة وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك، واقتتلوا، وغلب العبيد على الجزيرة التى فى وسط النيل بين مصر والجزيرة، واتصلت الحرب بين الفريقين.

(١) فى ب، جـ: سنا.

(٢) فى ب، جـ: فى روضة من خده.

(٣) فى الأصل: نفسى.

* ذكر شراء الروضة من بيت المال ووقفها على المدرسة التقوية :

قال المقرئى فى الخطط 1: اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى، منازل العز، وجعلها مدرسة الفقهاء الشافعية، واشترى الروضة، وجعلها وقفا على المدرسة المذكورة.

وقال ابن المتوج فى كتاب (إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل): اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر - المشهورة بالروضة - من عامل^(١) بيت المال المعمور فى شعبان سنة ست وستين وخمسائة، وبقيت على ملكه إلى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر، ومعه عمه الملك العادل، وكتب إلى الملك المظفر (أن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه إلى الشام، فتحقق الملك المظفر)^(٢) أنه لا عود له إلى الديار المصرية أبداً، فوقف مدرسته التى تعرف فى مصر بالمدرسة التقوية - وكانت تعرف قديماً بمنازل العز - على فقهاء الشافعية، ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها، ووقف أيضاً مدرسته بالفيوم، وسافر إلى عمه السلطان صلاح الدين، إلى دمشق، فملكه حماه، ولم يزل الحال كذلك إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز ابن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن السكرى، مدرس المدرسة المذكورة - لمدة ستين سنة فى دفعتين، كل دفعة قطعة، فالقطعة^(٣) الأولى من جامع غبن إلى المناظر طولاً، وعرضاً من البحر إلى البحر، واستأجر القطعة الثانية، وهى باقى أرض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حين ذاك، واستولى على ما كان بالجزيرة من النخل والجميز والغروس بيد الجور. فإنه لما عمر الملك الصالح المناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل

(١) ليست فى ب، جـ.

(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٣) فى الأصل: فالقعدة.

ودخلت في العمائر، وأما الجميز فإنه كان بشاطئ النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة، وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع، قطعت جميعها في الدولة الظاهرية، وعمر بها شوانى عوض الشوانى التى كان سيرها إلى جزائر قبرص وتكسرت هناك. واستمر تدريس المدرسة التقوية بيد القاضى فخر الدين إلى حين وفاته، ثم وليها بعده ولده القاضى عماد الدين أبو الحسن على، وفي أيامه سلم له القطعة المستأجرة من الجزيرة أولاً، وبقي بيد السلطنة القطعة الثانية إلى الآن، وكان الإفراج عنها في شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة في الدولة الناصرية، ولم يزل القاضى عماد الدين مدرسها إلى حين وفاته، فوليها ولده، وهو مدرسها إلى الآن، في شعبان سنة أربع عشرة وسبعمائة. هذا كله كلام ابن المتوج.

قلت: استمرار^(١) القطعة الثانية بيد السلطنة أدى بعد ابن المتوج وتطاول عصره إلى ضرر عظيم، بحيث خرجت عن وقف المدرسة بالكلية؛ للجهل بالحال، وتطاول الزمان واندراس شرط الواقف، وضياع كتاب الوقف، وفقد من له اطلاع واسع. وكانت القطع المذكورة أولاً بيد السلطنة بإجازة صحيحة، ثم صارت بيدهم على جهة وضع اليد المنسحبة على إجازة، كما تؤخذ الأوقاف الآن لجهة الذخيرة، ويدفع من مال الذخيرة للمستحقين عوضاً عن أجرتها، (ثم لما تطاول الزمان فكأنه نسي ذلك، فظنت من أراضى بيت المال)^(٢)، فوقفت على الجامع الصلاحى المعروف بجامع ابن المغربى على شاطئ الخليج الناصرى بقرب باب اللوق، واستمرت جارية في وقفه إلى الآن، تؤخذ أجرتها وحكرها له، وهو مبنى على غير أصل. ثم حدث في هذه الأيام ما هو أسوأ من ذلك، وهو أن القاضى علاء الدين بن أقبرس^(٣) أنهى في قطعة تسمى الميدان من القطعة الأولى التى من جامع غبن إلى^(٤) المناظر، وهى مستمرة بيد نظار التقوية من أول الأمر إلى الآن: أنها جارية في أراضى

(١) في الأصل: استمر له.

(٢) ما بين القوسين ليس في جـ.

(٣) في ب، جـ: قبرس.

(٤) ليست في ب، جـ.

بيت المال، فاشتراها الملك الظاهر جقمق من وكيل بيت المال، ووقفها على ابن أقبرس^(١) وذريته.

وثبت هذا الوقف على قاضى الحنفية سعد الدين بن الديرى، ونفذه قاضى القضاة فى عصره، فتحرك^(٢) ولده فى هذه السنة - وهى سنة خمس وتسعين وثمانائة - إلى طلب ذلك، ونزع هذه القطعة من أيدى نظار التقوية، واستفتى أهل العصر فأفتوه، وأراد منى الكتابة فاعتذرت إليه بترك الإفتاء من مدة، وقلت لمن كان حاضرا عندى: لو أفتيته ضريته، وأوضحت لهم القضية^(٣) مفصلة، ثم إنه رفع الأمر إلى سلطان العصر 1، وأمر بعقد مجلس لذلك فى الروضة، فحضر قضاة القضاة ومن معهم. ثم قدر الله أنه لم يتم له شىء مما أراد، واستمرت فى وقف التقوية.

ثم رأيت بعد ذلك فى تاريخ المقرئى المسمى بـ (السلوك بمعرفة دول الملوك):

كانت أراضى الروضة تجاه مدينة مصر رزقا أحباسية بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين، وأنشأوا بها سواقى ونحوها، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان. فقرر النشوناظر الخاص مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أخذ أراضى الروضة للخاص^(٤)، وأن يقاس ما بيع منها ويؤخذ ممن هو فى يده تفاوت قيمتها. فوافقه السلطان على ذلك، وندب جماعة لقياس الروضة جميعها: مزدرعها وأراضى دورها، وألزم من هى فى يده بتفاوت قيمتها، فقومت يوم شرائها، واستخرج منهم القدر الزائد على ما كانوا أعطوه حالة الشراء، وفرغ من ذلك فى سنة أربعين وسبعائة، ثم أخذ يعمل بمثل ذلك فى سائر الرزق الأحباسية،

(١) فى ب، جـ: قبرس.

(٢) فى ب، جـ: فتجون.

(٣) فى الأصل: القصة.

(٤) هذه اللفظة ليست فى ب، جـ.

1 أى: السلطان قايتباى.

فضجت الناس وكتبوا للسلطان أوراقا ورموها من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها:

أمعت في الظلم وأكثرته وزدت بالنشو^(١) على العالم
ترى من الظالم فيكم لنا فلعة الله على الظالم
ووجد أخرى فيها:

يا ملكا أصبح في نشأة من نشوة الظالم في نشه
أنشيتَه فلتنشن ضغائنا سترى غباوتها بصحة غشه
حكمتَه حكمت^(٢) أمرا فاسدا وتوحشت كل القلوب بفحشه
سترى بوارقها إذا ما أظلمت وتحكمت^(٣) أيدي الزمان لبطشه
واشتد منه ندامة كسعية1 يوما إذا ذبح الخروف بكبشه

فتغير خاطر السلطان على النشو، وقبض عليه وعلى أخيه من فوره، وقام صلاح الدين يوسف بن المغربي الحكيم، فادعى على أولاد الملوك^(٤) بمبلغ عشرة آلاف درهم تعجلوها منه عن أرض الروضة، وكان النشو قد أخذها منهم، وأدخلها في ديوان الخاص، فألزموا بالقدر حتى أدوه لابن المغربي، والله أعلم بالصواب.

(١) في الأصل: يا نشو.

(٢) في ب، ج: حكمة.

(٣) في الأصل: وتوحشت. وكتب بهامشه: صوابه: وتحكمت.

(٤) في الأصل: الملوك.

1 كسعية: نسبة إلى الكسعى الذي يضرب به المثل في الندامة، وهو رجل رام من قيس عيلان من اليمن، رمى بعدما أظله الليل غيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه، فكسر قوسه وقطع إبهامه، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، ثم أنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذا لبرت خمسي
تبين لى سفاه الرأي منى لعمر الله حين كسرت قوسي

وصار اسمه مثالا يضرب لكل نادم على فعل يفعله.

* ذكر القلعة التي بناها الصالح بالروضة :

قال المقرئى 1: ولم تزل الروضة متنزها ملوكيا ومسكنا للناس إلى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل^(١)، وأنشأ بالروضة قلعة واتخذها سرير ملكه، فعرفت بقلعة المقياس، وبقلعة الروضة، وبالقلعة الصالحية. وكان الشروع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وابتدئ بنائها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشرة، وفى عاشر ذى القعدة وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التى كانت بها.

وهدمت كنيسة كانت لليعاقة 2 بجانب المقياس، وأدخلها فى القلعة، وأنفق فى عمارتها أموالا هائلة من غنيمة غنمها من الفرنج، وبنى فيها الدور والقصور، وعمل لها ستين برجاً، وبنى فيها جامعاً، وغرس بها جميع الأشجار، ونقل إليها من العمدة الصوان والعمدة الرخام، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأقوات خشية من محاصرة الفرنج، فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر، وبالع فى إتقانها مبالغة عظيمة، حتى قيل: إنه استقام كل حجر فيها بدينار، وكل طوبة بدرهم. وكان الملك الصالح يقف بنفسه، ويرتب ما يعمل.

فصارت تدهش من كثرة زخارفها، ويحير الناظر إليها حسن سقوفها المقرنصة وبديع رخامها، ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمة، واتخذها دار ملك، وأسكن معه فيها مماليكه البحرية وعدتهم نحو ألف، ويقال: إنه قطع من الموضع^(٢) الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة، كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره

(١) فى ب، جـ: العادل.

(٢) فى الأصل: الموضوع. وهو تصحيف

1 الخطط (١٨٣/٢).

2 اليعاقبة: أحد المذاهب المسيحية الغالبة التى كانت بمصر.

وطيب طعمه، وخرب البستان المختار والهودج، وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا كانت بالروضة، وأدخلت في القلعة، واتفق له في بعض هذه المساجد خبر عجيب.

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليعمورى: سمعت الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك يقول: من عجيب ما شاهدته من الملك الصالح أنه أمرنى أن أهدم مسجدا بجزيرة مصر، فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه [على يدي. فأعاد الأمر وأنا (أكاسر عنه) ^(١)، فكأنه فهم ذلك على، فاستدعى بعض خدمه] ^(٢) وأنا غائب، وأمره أن يهدم ذلك المسجد، وأن يبنى في مكانه قاعة، وقدر له صفتها، فهدم ذلك المسجد، وعمر تلك القاعة مكانه فكملت، وقدم الفرنج على الديار المصرية، وخرج الملك الصالح مع عساكره إليهم، ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت في مكان المسجد، وتوفى السلطان بالمنصورة، وجعل في مركب وأتى به إلى الروضة، فجعل في تلك القاعة التى بنيت مكان المسجد مدة إلى أن بنيت له التربة التى في جنب مدارس بالقاهرة.

قال المقرئى 1: ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب، فلما ملك السلطان الملك المعز أيبك التركمانى - أول ملوك الترك بمصر - أمر بهدمها، وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في رحبة الحناء بمدينة مصر، وطمع في القلعة من له جاه، فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك وغير ذلك من أخشابها ورخامها. فلما صارت مملكة مصر للسلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم بعمارة قلعة الروضة، ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى إعادتها كما كانت، فأصلح بعض ما هدم منها ورتب بها الجاندارية ^(٣)، وأعادها إلى ما كانت عليه من الخدمة. وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء، وأعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين

(١) في ج: أكاثبه عليه.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في ب.

(٣) في ب، ج: الجارندارية.

قلاوون الألفى، والبرج الذى يليه للأمير عز الدين الحلى، والبرج الثالث من برج الزاوية للأمير عز الدين أرغان، وأعطى برج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين الشمسى، وفرت بقية الأبراج على سائر الأمراء، ورسم أن يكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها، وسلم المفاتيح لهم. فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون، وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية، نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من العمد الصوان والعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعة بالبرابى، وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة^(١) مما كان فى البرابى وغير ذلك، ثم أخذ منها الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من العمد الصوان فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل، وفى الجامع الجديد الناصرى بمدرسة الخلفاء، وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن.

قال المقرئى 1: وتأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس، كان مما يلى جانبها الغربى، أدركناه باقيا إلى نحو سنة عشرين وثمانائة، وبقي من أبراجها عدة قد انقلب كثير منها، وبني الناس^(٢) فوقها دورهم المطلة على النيل.

قال: وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزها، يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام فيها الجمعات والأعياد ومساجد. انتهى.

وقال ابن سعيد فى كتاب (الكماثم): النيل بساحل مصر ضيق؛ لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء، ومالت إلى جهة الفسطاط، وبجنى سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل.

وقد ذكر ابن حوقل 2: الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط إلى الجزيرة، وهو

(١) فى الأصل: كثيرا.

(٢) فى الأصل: العباس.

1 الخطط (٢/ ١٨٤).

2 هو أبو القاسم، محمد بن حوقل البغدادى الموصلى، رحالة من علماء البلدان، كان تاجرا، رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ، ودخل المغرب وصقلية، وجاب بلاد الأندلس وغيرها، ويقال: كان عينا للفاطمين. توفى سنة ٣٦٧ هـ.

غير طويل، ومن الجانب الآخر إلى البر الغربى المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة إليه، وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب؛ لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان، ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان.

قال: وبتنا تلك الليلة فى طيارة 1 مرتفعة. [فقلت:

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل	بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة	كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى	ويطفر أحيانا ويلعب بالنرد
غدا مأوه كالريق ممن أحبه	فمدت عليه حلة من حلى ^(١) الخد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده	فأصبح لما زاده المد كالورد

وقال: قلت هذا لأنى لم أذق فى المياه أحلى من مائه، ولأنه يكون قبل المد - الذى يزيد به ويفيض على أقطاره - أبيض، فإذا كان عباب 2 النيل صار أحمر.

قال: وأنشدنى علم الدين فخر الترك أيدمر 3، عتيق وزير الجزيرة:

حبذا الفسطاط من والدة	حببت أولادها در الجفا
يرد النيل إليها كدرا	فإذا مازج أهلها صفا
لطفوا فالزن لا تألفهم	خجلا لما رآهم لطفًا

وقال ابن سعيد أيضا فى كتاب (المغرب فى حلى المغرب): القاهرة أكثر عمارة

(١) فى ج: حلى.

1 الطيارة: ضرب من السفن النيلية.

2 العباب: كثرة الماء والسيل.

3 هو أيدمر المعروف بعلم الدين المحيوى نسبة لمن أعتقه: محيى الدين محمد بن محمد بن ندى. اشتهر فى العصر الأيوبي، ولقب بالإمارة، وكان شاعرا، بقى من شعره مختار ديوانه. توفى سنة ٦٧٤ هـ.

واحتراما وحشمة^(١) من الفسطاط، إلا أنه في هذا الوقت لما اعتنى سلطان مصر الآن ببناء قلعة الجزيرة التى هى أمام الفسطاط، (وسيرها سرير السلطنة - عظمت عمارة الفسطاط)^(٢)، وانتقل إليها كثير من الأمراء، وضخمت أسواقها، وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة، يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبهه.

* ذكر ما قيل فى هذه القلعة :

قال الأديب علم الدين أيدمر التركى يصف هذه القلعة:

الروض	مقتبل	الشبية	مونق	خضل	يكاد	نضاره	يتدفق
نثر	الندى	فيه	لآلى	عقده	فالزهر	فيه	ومتوج
وارتاع	من	مر	النسيم	به	ضحى	فغدت	كمائم
وسرى	شعاع	الشمس	فيه	فالتقى	منها	ومنه	سنا
والغصن	مياس	القوام	كانه	نشوان	يصبح	بالنسيم	ويغبق ¹
والطير	ينطق	معربا	عن	شجوه	فيكاد	يفهم	عنه
فرد	يغنى	للغصون	فتتشى	طربا	جيوب	الظل	منه
والنهر	لما	راح	وهو	مسلسل	لا	يستطيع	الرقص
فتمل	أيام	الريبع	فإنها	ريحانة	الزمن	الذى	يستنشق

(١) فى ج: وحرمه.

(٢) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

(٣) فى ج: تتعتق.

1 ويغبق: من الغبق، وهو الشرب آخر النهار.

إيه مديحي لا خطاك قصيرة يوم الرهان ولا مجالك ضيق
هذا مقام الملك حيث نقول ما نهوى وتظنب^(١) كيف شئت فنصدق^(٢)
فى حيث لا شرف الصفات بمعوز فيه ولا باب المدائح مغلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل أشب سطاء سوره والخنديق

* ذكر الأوقات التي زينت فيها قلعة الروضة :

قال المقرئى 1: فى سنة اثنتين وأربعين وستمائة: قدمت الإشارة إلى الملك الصالح أيوب بنصر عسكره على الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، فأمر بزيينة القاهرة ومصر وقلعتى الجبل والروضة، فبالغوا فى الزينة، وضربت البشائر عدة أيام.

وفى سنة أربع وأربعين وستمائة: وردت البشرى إلى الملك الصالح بهزيمة الخوارزمية، وكانت مضرتهم عظمت ببلاد الشام، فزينت القاهرة ومصر والقلعتان. وفى سنة خمس وأربعين: قدم الملك الصالح من دمشق إلى مصر، وكان حصل له فى عوده مرض فى حلقه أشرف منه على الموت، ثم عوفى ودخل إلى قلعته سالما، فزينت البلدان والقلعتان.

وفى سنة سبع وأربعين: أخذ الصالح الكرك، وسر بها سرورا عظيما، وأمر فزينت البلدان والقلعتان، وضربت البشارة بهما.

وفى سنة ثمان وأربعين: انتصر الملك المعز على الناصر صاحب دمشق، فزينت البلدان والقلعتان، وأقامت الزينة عدة أيام.

(١) زاد بعدها فى ج: فيه.

(٢) ما بين المعقوفين من ص ١٣٢ إلى هنا ليس فى ب.

1 السلوك بمعرفة دول الملوك (١/٣١٧).

* ذكر المماليك البحرية :

قال المقرئى 1: الملك الصالح هو الذى أنشأ المماليك البحرية بديار مصر، وذلك أنه وقع له قبل ملكه مصر أن الأكراد وسائر عسكره تفرقوا عنه، ولم يثبت معه سوى مماليكه، فرعى لهم ذلك، فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك، وجعلهم معظم عسكره، وقبض على الأمراء، وأمر مماليكه فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه، وساهم بالبحرية بسكناهم معه فى قلعة الروضة على بحر النيل، وكانت رأس المماليك البحرية يوم مات الصالح الفارس أقطاى.

* ذكر مدة كون الملك الصالح بالروضة وهو ميت إلى أن نقل منها إلى مدفنه :

قال المقرئى 2: توفى الملك الصالح بالمنصورة ليلة الإثنين نصف شعبان سنة سبع وأربعين، وحمل فى تابوت إلى قلعة الروضة، فأقام بها مدة إلى أن نقل إلى تربته بالقاهرة بجوار مدارس الأربعاء، وكان نقله منها يوم الجمعة لأربع بقين من رجب سنة ثمان وأربعين، وخرج الناس إلى قلعة الروضة، وحملوه منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البياض، وقطع المماليك شعورهم، ودفن ليلا، وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين، وحضر الملكان الأشرف والمعز، ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية والأمراء والقضاة والأعيان، وجعل عند قبره سناجقه وبقجه وقوسه وتركاشه، ورتبت القراء يقرؤون عند قبره.

* ذكر أمر الملك المعز بإخلاء قلعة الروضة :

قال المقرئى 3: فى سنة تسع وأربعين وستمائة أمر الملك المعز أبك بإخلاء قلعة الروضة، فتحول من كان فيها من المماليك والحرس وغيرهم.

1 السلوك (١/ ٣٣٩).

2 السلوك: الموضع نفسه.

3 السلوك (١/ ٣٨١).

* ذكر ركوب الخليفة المستنصر العباسي والسلطان الملك الصالح^(١)

بيبرس إلى قلعة الروضة :

في سنة تسع وخمسين وستمائة قدم الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بن الناصر لدين الله بن المستنصر بالله العباسي، مع جماعة من العرب، وكان قد فر من بغداد لما قتل هؤلاء الخليفة المستعصم بالله، ونزل عند عرب العراق، فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع رجب إلى لقائه، ومعه صاحب بهاء الدين بن حناء، وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وسائر الأمراء، وجميع العسكر، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين^(٢)، وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل، ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وخرج الناس إلى رؤيته، وكان من أعظم أيام القاهرة، وصعد إلى قلعة الجبل وهو راكب، فأنزل في مكان جليل قد هيب بها، وبالع السلطان في إكرامه وإقامة ناموسه، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشرة حضر قاضى القضاة، ونواب الحكم، وعلماء البلد وفقهاؤها، وأكابر المشايخ، وأعيان الصوفية، والأمراء ومقدمو العساكر، والتجار ووجوه الناس، وحضر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد، وجلس السلطان متأدبا معه بلا طراحة ولا مسند، وشهد العربان وخادم من البغادة^(٣) بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضة القاضى جمال الدين يحيى بن عبد المنعم، المعروف بالجمال يحيى، والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى، وسديد الدين عمر بن عبد الكريم الترمتى^(٤)، وعلم الدين محمد بن الحسين بن عيسى، ونجيب الدين الحرانى - أنه أحمد ابن الإمام الظاهر، فقبل قاضى القضاة تاج الدين سجادة القوم، وأسجل على نفسه بالثبوت، فلما تم الحكم والإسجال كان أول من بايعه القاضى

(١) كذا بالنسخ المخطوطة، وكتب بهامش الأصل: صحتها: الظاهر.

(٢) هذه اللفظة ليست بالأصل.

(٣) فى الأصل: البغادة. وفى ج: البغادة.

(٤) فى ب: الترمينى. والصواب ما أثبتناه نسبة إلى ترمنت القرية من مدينة بنى سويف.

تاج الدين، ثم قام السلطان بعده وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وأخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها، ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء وكبار الدولة.

ولقب المستنصر بالله بلقب أخيه صاحب المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يلقب أحد بلقب أخيه سواه، ولا ولى عم بعد ابن أخيه الخلافة غيره. فلما تمت البيعة أقبل هو على السلطان وقلده البلاد، ثم كتب في الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر، وأن يدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده، وتنقش السكة باسمهما. فلما كان يوم الجمعة سابع عشرة خطب الخليفة في جامع القلعة، ونثر عليه السلطان جملة من الذهب والفضة، ثم نزل فصلى بالناس. وفي يوم الأحد تاسع عشرة ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مصر، وركبا في الحرايق 1، وسارا في النيل إلى قلعة الروضة، وجلسا فيها، وأحضرت الشوانى الحربية، فلعبت في النيل على هيئة محاربتها العدو في البحر، ثم ركبا إلى البر وسارا إلى قلعة الجبل وقد خرج الناس لمشاهدتهما، فكان من الأيام المشهودة.

*** ذكر الجسر الذي كان من بر الفسطاط إلى بر الروضة، ومن بر الروضة إلى بر الجيزة:**

قال المقرئى 1: كان النيل في القديم محيطا بالروضة طول السنة، وكان فيما بين ساحل مصر والروضة جسر من خشب، وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسر من خشب، يمر عليهما الناس والدواب من مصر إلى الروضة، ومن الروضة إلى الجيزة، وكان هذان الجسران من مراكب مرصوفة ^(١) بعضها بحذاء بعض، وهى موثقة،

(١) في ب، جـ: مصطفة.

1 الحرايق: جمع حراقة، وهى نوع من السفن فيها مرامى نيران يرمى بها العدو في البحر.

2 الخطط (١٧٠ / ٢).

ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب، وكان عرض ^(١) الجسر ثلاث قصبات، ولم يزل هذا الجسر قائما إلى أن قدم المأمون مصر، فأحدث جسرا جديدا، فاستمر الناس يمرون عليه، وكان عبور العساكر التي قدمت من المغرب مع جوهر القائد على هذين الجسرين، وكان الجسر المتصل بالروضة كرسيه حيث المدرسة الخروبية قبلى دار النحاس، وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن بر مصر، ولا يحيط بالروضة إلا فى أيام الزيادة، فلم تزل تغرق السفن فى بر الجيزة، ويحفر فيما بين الروضة ومصر وما كان هناك من الرمال - حتى عاد ماء النيل إلى بر مصر، واستمر هناك، فأنشأ جسرا عظيما ممتدا من بر مصر إلى الروضة، وجعل عرضه ثلاث قصبات، وكان كرسيه حيث المدرسة الخروبية ^(٢) قبلى دار النحاس، وصار أكثر مرور الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب؛ لأن الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم (عند البر) ^(٣)، ويمشون فى طول هذا الجسر إلى الروضة ^(٤)، ولا يمكن أحد من العبور عليه (عند البر) ^(٥) راكبا سوى السلطان فقط، وما برح الجسر قائما إلى أن أخرب الملك المعز أيبك قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستائة، فأهمل، ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب، وعمله من ساحل مصر إلى الروضة، ومن الروضة إلى الجيزة، لأجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج، ثم بطل ذلك ولم يبق للجسر أثر بالكلية.

وقال القضاعى فى رسالته التى عملها فى عجائب مصر: لم يزل الجسر قائما إلى أن

(١) ليست فى جـ.

(٢) فى الأصل: الخروبية. والمدرسة الخروبية هى المدرسة التى أنشأها بدر الدين محمد بن محمد الخروبي التاجر بعد سنة ٧٥٠ هـ على ساحل مصر، قبل خط دار النحاس.

(٣) هذه الزيادة مثبتة من ب، جـ.

(٤) فى الأصل: القلعة.

(٥) هذه الزيادة مثبتة من جـ.

قدم المأمون وكان غريبا، ثم أحدث المأمون هذا الجسر الباقي اليوم، تمر عليه المارة وترجع من الجسر القديم، وبعد أن خرج المأمون أتت ريح عاصف ليلا فقطعت الجسر الغربى، وهدمت بشقته الجسر المحدث، وذهبا جميعا، فتعطل الجسر القديم، وأثبت الجديد.

* ذكر حفر بحر الروضة :

قال المقريزى فى الخطط 1: أول ما حفر فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وذلك أنه جف النيل عن بر مصر، حتى احتاج الناس إلى أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو بينها وبين الروضة، وصار الناس يمشون هم والدواب إلى الجيزة، فحفره كافر الإخشيدى، وهو يومئذ مدبر دولة أونوجور بن الإخشيد، ودخل الماء إلى ساحل مصر. ثم لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر، وصار الطريق إلى المقياس ييبس، واستمر ذلك فى كل سنة فى أيام الاحتراق.

فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف الملك الكامل محمد - ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب - من تباعد البحر عن العمران بمصر، فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة 2 بمصر إلى صناعة التمر الفاضلية 3، وعمل فيه بنفسه، فوافقه على ذلك الجم الغفير، واستوى فى المساعدة السوقة والأمراء، وقسط مكان الحفر على الدور التى بالقاهرة ومصر والروضة بالمقياس، واستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال، حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجيزة الروضة دائما، بعدما كان قبل الزيادة يصير جدولا رقيقا فى ذيل الروضة، فإذا اتصل ببحر بولاق فى شهر أبيب كان ذلك من الأيام المشهورة بمصر.

1 (٣٤٤/١).

2 دار الوكالة: كان أصلها قصرا ضخما بناه الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٥٠١ هـ، وكانت تعد منظرة على النيل، ثم تحولت فى عهد الملك الظاهر بيبرس إلى دار وكالة.

3 صناعة التمر الفاضلية: بناها القاضى الفاضل، وكان أصلها دارا وقفت على فكاك الأسرى، ثم عرفت بعد ذلك بصناعة التمر الفاضلية.

فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة، أراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة، فأخذ بالاهتمام في ذلك، وغرق عدة من المراكب مملوءة بالحجارة في بر الجزيرة، ومن قبل جزيرة الروضة، فانغطس الماء، وعمل البحر من حينئذ قليلا قليلا، وتكاثر أولا فأولا.

قال ابن المتوج: لما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة صار في كل سنة يحفر هذا البحر بنفسه وجنده، ويطرح بعض رمله في البقعة التي عمر فيها الناصر الجامع الجديد، وشرع خواص السلطان في العمارة على شاطئ هذا البحر من موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية.

قال: وأخبرني من أثق بنقله أنه أخبر عمن رأى الأسطال التي كانت معلقة بالطاقيات المطلات على النيل، وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ب بكر وأطناب بها ترخى وتملاً.

وقال ابن المتوج أيضا: في سنة أربع وستين وستمائة حفر السلطان الملك الظاهر بيبرس بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشأة.

*** ذكر ركوب الملك الظاهر بيبرس إلى الروضة وعومه في النيل :**

قال المقرئى 1: في سنة إحدى وسبعين وستمائة نزل السلطان الظاهر يعوم في النيل وهو لابس زردية، وعمل مطارذ^(١)، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار، والأمير علاء الدين أيدغدى الأستاذار، وجرها وجر فرسين وهو يعوم لابس الزردية من البر إلى البر.

*** ذكر ركوب الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الروضة :**

قال المقرئى 2: في محرم سنة اثنتين وسبعمائة نجزت عمارة الشوانى، وجهزت

(١) في ب، ج: بطارد.

1 السلوك (٢/ ٦٠٨).

2 الخطط (٢/ ١٩٥).

للمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أفوش، واجتمع الناس إلى مشاهدة لعبهم، ونزل السلطان والأمراء، فركب الأمراء على الخرايق إلى الروضة، ووقف العسكر على برستان الخشاب، واجتمع من العالم ما لم يحصهم إلا الله، وامتلأ البران من بولاق إلى الصناعة، حتى لم يوجد موضع قدم خال، وبلغ كراء 1 المركب الذى يحمل عشرة أنفس مائة درهم فضة، وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب، فلعب الأول والثانى والثالث، وأعجب الناس بذلك إعجاباً زائداً؛ لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب، ثم تقدم الرابع وفيه أفوش، فما هو إلا أن خرج من مينة الصناعة بمصر وتوسط النيل، إذا بالريح حركه فمال به ميلاً واحدة، وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كان فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشنى، وأخرجوا ما سقط منه فى الماء، فلم يعدم منه سوى أفوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء (إلى القلعة) ^(١)، وانفض الجمع.

وفى هذه السنة فى يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة حصلت الزلزلة الكبرى بالديار المصرية، التى لم يعهد مثلها، فهدمت أكثر بيوت القاهرة، وانهدمت مآذن الجوامع ^(٢) والمدارس، وخرب جامع عمرو، وجامع الأزهر، وجامع الحاكم، وجامع الصالح، وفاض ماء النيل، حتى ألقى المراكب التى كانت بالشاطئ قد رميت بهم، وخرجت الناس من البيوت، ونصبوا الخيام من بولاق إلى الروضة، وأقاموا فيها.

قال المقرئى: ولم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم أو تشعث بعضها، وسقطت الزروب 2، ولم يبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب، حتى صارت القاهرة ومصر بحيث إذا رآها إنسان يتخيل أن العدو جاء إليها وخرّبها.

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

(٢) فى الأصل: الجميع. وهو تصحيف.

1 أى: أجرة.

2 الزروب، ويقال المزاريب: جمع مزارب، وهو أنبوبة من الحديد ونحوه تتركب فى جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع.

قال: وأقامت الأرض عشرين يوما ترجف، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى.

وذكر غيره أن هذه الزلزلة أقامت أربعين يوما.

وذكر صاحب (الطالع السعيد) 1 أن الشريف تقى الدين محمد ابن الشيخ ضياء الدين جعفر بن محمد ابن الشيخ عبد الرحيم القنائي قال في هذه الزلزلة:

مجاز حقيقتها فاعبروا ولا تعمروا هونها تهن
وما حسن بيت له زخرف تراه إذا زلزلت لم يكن

* ذكر المعركة التي كانت بالنيل بين الروضة والجزيرة الوسطى:

قال المقرئى 2 في حوادث سنة ثمان وستين وسبعمئة: في شهر ربيع الأول كملت عمارة الشوانى البحرية، وعدتها مائة قطعة، فشحت بالعدد الحربية وآلات السلاح وزينت، وأقيم فيها الطبول والأبواق، وأنزلوا بها عدة ممالك لابسة آلات الحرب، ثم ركب السلطان الأشرف شعبان بن حسين والأمير يلغا وسائر الأمراء والأعيان لرؤية الشوانى، وخرج الناس من أقطار المدينة في يوم السبت رابع عشر ربيع الأول، فسار السلطان بعسكره إلى الجزيرة الوسطى، وركب الحراقة وقد امتلأت تلك الأراضي بالناس، فقدمت الشوانى وبعثت رجالها بالآلات الحربية كما يفعل عند لقاء العدو، ودقت الكوسات 3، ونفخت البوقات، وأطلقت^(١) النفوط، فكان منظرا جميلا وأمرأ حسنا لو تم.

فلما انتهى ذلك توجه السلطان في الحراقة إلى بر الجزيرة، وأقام يلغا حاجب

(١) في الأصل: أفلتت. وفي ب: وانطلقت.

1 الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، لكمال الدين أبى الفضل جعفر بن تغلب الإدفى الشافعى، المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

2 السلوك (٣/١٢٩).

3 الكوسات: نوع من الطبل.

الحجاب بالجزيرة عند الشوانى، ثم مضى السلطان يريد الصيد بالبحيرة، ومضى يلبغا إلى جزيرة القط، فلما كان يوم الأربعاء خامس ربيع الأول قدم يلبغا من جزيرة القط، وسار في محفل كبير إلى القلعة، فمنعهم نائب الغيبة من دخولها، فعاد إلى منزله بالكبش، ثم ركب يوم الخميس في عسكر موفور إلى بر الجزيرة، فبرزت إليه الشوانى حتى صارت في وسط النيل، ورمته الممالك السلطانية منها بالسهام والنفط، فما زال القوم يترامون نهارهم، ثم أمر يلبغا، فجىء بالخليفة وأنوك بن حسين بن محمد بن قلاوون، وطلب من الخليفة أن يفوض إليه السلطنة عوضاً عن أخيه شعبان، فامتنع من ذلك، وقال: إن الشوكة للأشرف شعبان، فأمر بالكوسات فدقت (بين يديه)^(١)، وأقام شعار السلطنة، وقال: أنا أعينه وأؤيده، (ومن الشوكة غيرى)^(٢)؟ فلم يجد الخليفة بدا من سلطنة أنوك، فأقاموه سلطاناً، ولقبوه الملك المنصور، وأركبوه بالشعار السلطاني، وذلك بالجزيرة الوسطى، واشتدت الحرب بين الفريقين، وجلس المنصور أنوك بكرة وبين يديه وجوه الدولة من الأمراء وأرباب الأقلام على العادة، فلما انفضت الخدمة ركب بالعساكر مع الأمير يلبغا للحرب^(٣)، واستمر الرمي من الشوانى إلى نصف نهار يوم السبت، فنزل عدة من الأشرفية في أربعة شوانى، يريدون جهة الروضة، هذا وأسواق القاهرة طول هذه الأيام مغلقة، وليس للناس شغل سوى التفرج في شاطئ النيل على المقاتلين من السلطانية واليلبغاوية، وصاروا يلهجون كثيراً بقولهم: «سلطان الجزيرة، ما يسوى شعيرة».

وتعصب العامة للسلطان الأشرف، وسبحوا النيل إليه، وقد وصل إلى بر الجزيرة، فأنحل أمر يلبغا، وتسلسل من معه، وصعد الأشرف (إلى القلعة)^(٤)، وأمسك يلبغا، وحبس وقتل.

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٣) هذه اللفظة ليست في جـ.

(٤) ما بين القوسين ليس في الأصل.

* ذكر ركوب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون إلى الروضة:

قال المقرئى 1 فى حوادث سنة أربع وسبعين^(١) وسبعائة: ركب السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة، وتوجه لعيادة أمه بالروضة، فأقام عندها^(٢) على شاطئ النيل حتى عاد إلى القلعة فى يوم الخميس ثامن عشرة، فلما كان يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة توفيت أم السلطان بالروضة، وهى خوند بركة، وهى التى بنت المدرسة المعروفة بأمر السلطان بخط التبانة.

وقال الأديب شهاب الدين أحمد السعدى 2 فى موتها:

فى مستهل العشر من ذى حجة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره ويكون فى عاشورا موت اليوسفى
يعنى الأمير ألقاى اليوسفى الأتابك زوجها. ومن الاتفاق الغريب أن الأمر وقع كذلك، فمات ألقاى يوم عاشوراء بعد أربعين يوما من موت زوجته غريفا، ثم أخرج، ودفن بمدرسته بخط سويقة العزى.

* ذكر ركوب السلطان الملك المؤيد شيخ إلى الروضة:

قال المقرئى 3 فى سنة ثلاث وعشرين وثمانائة: فى يوم الجمعة حادى عشرى رجب ركب السلطان النيل للنزهة به، فزار الآثار النبوية 4، وبر من هناك من

(١) فى الأصل: وستين.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

1 الخطط (٢٠٧/٣).

2 هو الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن مخلوف بن فضل الله بن سعد بن ساعد، المعروف بالأعرج السعدى. توفى فى شهر ذى الحجة سنة ٧٨٥ هـ.

3 السلوك (٥٣٤/٤).

4 الآثار النبوية: هى بعض الآثار التى تنسب إلى سيدنا رسول الله ﷺ كالمرود، والملقط، والمكحلة، والمشط، وغير ذلك، وكانت تحفظ فى رباط ببستان المعشوق جنوبى مصر القديمة، وظلت هذه الآثار بذلك الرباط الذى تحول بعد ذلك إلى جامع «أثر النبى»، ثم آلت مؤخرا إلى حجرة خاصة بها مجاورة لمقام الإمام الحسين ﷺ بالقاهرة.

الفقراء، ثم توجه إلى المقياس بالروضة، فصلى الجمعة بجامع المقياس، ورسم بهدمه وبنائه وتوسعته، (ف فعل ما أمر به السلطان على الفور) ^(١).

*** ذكر ركوب سلطان الإسلام والمسلمين الملك الأشرف إلى الناصر قايتباي سلطان هذا العصر نصره الله تعالى وأطال بقاءه إلى الروضة:**

في يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين ركب السلطان الملك الأشرف إلى الروضة؛ للكشف على جامع الفخر المعروف بالمقسي، ورسم بعمارتها وتجديده، ونصب مخيمه الشريف بالكوادي 1، وبات بها، وفي يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول ^(٢) من السنة ركب إليها، وقد وقع الشروع في حفر أساس الجامع، فرأى ذلك، وفي يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى من السنة ركب إليها، وفي ذى الحجة منها ركب إليها مرة أخرى، وكشف على العمارة، وفي ليلة الأحد خامس عشر شعبان سنة سبع وثمانين حضر إليها ليلاً في مركب من الوجه البحرى، وطلع إلى الجامع، وبات بقية الليلة بالرواق الذى جعل على بابها، إلى أن طلع النهار ومضى منه أربع ساعات، فركب إلى القلعة. وفي يوم السبت سابع المحرم سنة ثمان وثمانين ركب إليها، وأشرف على العمارة، وعاد. وفي يوم الأحد ^(٣) سنة إحدى وتسعين ركب إليها، وتوجه إلى الخرطوم 2، وكشف على الطين المستجد الذى اشتراه ووقفه على الجامع، ورسم بأن يقاس ويعمل عليه جسر يحوزه، وأقام بالجامع طول نهاره، وفي يوم الأحد رابع عشر رجب من السنة ركب إليها وكشف على الزيادة المستجدة.

(١) ما بين القوسين مثبت من جـ.

(٢) كتب في هامش الأصل: الثانى.

(٣) لم يرد ذكر الشهر في النسخ المخطوطة.

1 الكوادي: قطع من الأرض مليئة بالرمال، وكانت محاطة بالماء على صورة جزر صغيرة بجزيرة الروضة وخارجها.

2 الخرطوم: كان موقعه بالناحية الشمالية لجزيرة الروضة.

* ذكر ما بنى بالروضة من الجوامع :

١- جامع غبن :

قال ابن المتوج: المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غبن وهو القديم، وغبن أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله، كان يلقبه قائد القواد، وقلد الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجزيرة، والنظر في أمور الجميع وأمواهم وأحوالهم، وذلك في سنة اثنتين وأربعمائة، ولم تزل الخطبة قائمة فيه إلى أن عمر جامع المقياس، فبطلت الخطبة منه، ولم تزل بطالة منه إلى الدولة الظاهرية، وكثرت عمائر الناس حوله في الروضة، وعمر الصاحب محيي الدين ابن الحاجب بهاء الدين بن حناء داره قبالة هذا الجامع، فحسن له إقامة الجمعة فيه لقربه منه، فشاور الظاهر بيبرس، فرسم بإقامة الخطبة فيه مع بقائها بجامع المقياس، فأقيمت في سنة ستين وستمائة، وولى خطابته القاضي جمال الدين بن القصارى، وكان إمامه في حال تعطله من الخطبة، وكان نائب الحكم بمصر والجزيرة، فأضيف إليه الخطابة مع الإمامة، ثم وليه ولده قطب الدين، وهو مستمر إلى الآن. هذا كله كلام ابن المتوج.

وقد صار هذا الجامع يسمى الآن جامع الأباريقى، بولى مدفون بجواره يسمى الشيخ أحمد الأباريقى، ونسى اسم غبن، فلا يعرفه الآن أحد إلا من له نظر في التاريخ.

٢- جامع المقياس :

قال ابن المتوج: هذا الجامع عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب بقلعة الروضة، وكان قبالة بابه كنيسة، وكان بها بئر مالحه، وذلك مما عد من عجائب مصر أن في وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحه.

قال: ولم يزل هذا الجامع بيد بنى الرداد، ولهم نواب عنهم فيه، وكان آخرها بيد القاضي السعيد (بن أبى الرداد، وكان ابن الحلال ينوب عنه فيه، ولما توفى القاضي السعيد) ^(١) ولى ولده المقياس خاصة، وولى نور الدين ابن الفقيه تقى

(١) ما بين القوسين ليس فى الأصل.

الدين ابن الشيخ محيي الدين بن القسطلاني الخطابة بالجامع المذكور، وذلك بعد سنة سبعمائة.

قال المقرئى 1: ثم لما كان أيام الملك المؤيد شيخ هدم هذا الجامع فى رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، ووسعه بدور إلى جنبه، وشرع فى عمارته، فمات قبل فراغه منه. انتهى.

(وقد جدده بعده الملك الظاهر جقمق، ووقف عليه وقفاً) (١).

٣- جامع السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى سلطان هذا العصر:

هذا الجامع ثالث جامع أنشئ بالروضة، وكان يقال له فى القرن الماضى: جامع الفخر.

قال المقرئى: جامع الفخر بالروضة تقام فيه الجمعة والجماعات (٢)، بناه القاضى فخر الدين ناظر الجيش فى أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهو الذى تنسب إليه قنطرة الفخر، وذلك فى حدود سنة ثلاثين وسبعمائة، ثم جدده الصاحب شمس الدين المقسى، فصار يسمى جامع المقسى، ونسى اسم الفخر، ثم جدده سلطان عصرنا وزماننا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، أدام الله أيامه، وأقام على عمارته الجناب العالى البدرى، سيدى حسن الطولونى، أعزه الله تعالى، فزاد فيه ووسعه وبالع فى إتقانه وزخرفته، بحيث قل أن يرى فى الجوامع مثله فى حسن بهجته، وكان ابتداء ذلك فى ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة، وعمل فيه ناعورة 2 على وضع غريب، بحيث تدور بحمار ينقل قدمه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور، وركب عليها طاحونة تدور بدورانها، وصار يسمى جامع السلطان، ونسى

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

(٢) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

1 الخطط (٢/ ٢٩٨).

2 الناعورة: الساقية التى تخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل. والجمع: نواعير.

به اسم المقسى كما نسى باسم المقسى اسم الفخر، ثم أمر السلطان - نصره الله - أن يزداد في هذا الجامع زيادة أخرى، فزيدت، وذلك في سنة إحدى وتسعين، وأنشئ حول الجامع الغراس والعمائر الحسنة، فعمرت تلك البقعة، وأحييت الروضة بعدما كادت تدرس محاسنها.

٤- جامع الرئيس:

هذا رابع جامع أحدث بالروضة، وأول إنشائه زاوية أنشأها الشيخ محمد بن أصيل بن مهدي الهمداني، من ذرية الشيخ أبي يزيد البسطامي، بعد أن أخذ بمكانها توقيعا بالأرض والبرج من السلطنة في سنة ست وتسعين وستمائة، ثم جدد لذلك توقيعا من الملك المظفر بيبرس في ذي الحجة سنة ثمان وسبعمائة، وفي هذه السنة وقفها، ونص التوقيع الثاني فيما وقفت عليه: « رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى الركنى، لا زالت مواهبه الشريفة تهيمى للأولياء مشربا، وتبلغ الصالحين من عباد الله تعالى مقصدا ومأربا، وتنجح لهم فى أيامه الزاهرة مسعى ومطلبا، أن يستمر الشيخ الصالح العابد الورع الزاهد الناسك السالك محمد البسطامى، نفع الله ببركاته، على ما بيده من الزاوية التى له ببرج الطراز (بقلعة الروضة، ويحمل فى ذلك على حكم التوقيع الشريف الذى بيده، المستمر الحكم إلى آخر وقت، الشاهد بالزاوية المستجدة المذكورة ببرج الطراز) ^(١)، وكذلك الأرض اللطيفة التى أنشأها لما زرعه فيها من البقولات وغيرها من الأشجار برسم الفقراء، وهى القطعة المجاورة لسور القلعة، وأن يكون ذلك من بعده لأولاده صدقة مستمرة، وموهبة مستقرة، لا يعارض فيها ولا ينازع، ولا ينقض حكمها ولا يمحق رسمها، رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والثواب، وذخيرة لنا نجدها يوم العرض والحساب، واستجلابا لأدعيته الصالحة لدولتنا القاهرة، وعملا على تحصيل الأجور والقربات فى أيامنا الزاهرة، فلتستقر الزاوية

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

المذكورة والطين المذكور المجاور لسور قلعة الروضة بيد الشيخ محمد المذكور -
نفع الله به ^(١) - استقرارا لا يعارض فيه (ولا ينازع) ^(٢)، ولا يتأول عليه فيه في
اليوم ولا فيما بعده. والخط الشريف أعلاه حجة به ^(٣) إن شاء الله تعالى في سابع
عشرين ذى الحجة سنة ثمان وسبعمئة بالإشارة العالية الأميرية السيفية. نائب
السلطنة الشريفة أعلاها الله تعالى .»

قلت: هذا الإنهاء وقع وأرض الروضة في أيدي الملوك ^(٤) بعد استئجارها من
شيخ المدرسة التقوية، وقبل الإفراج عنها للمدرسة المذكورة، فظن أنها من أراضي
بيت المال لتطاول المدة والجهل بالحال، فأنهى ذلك في سنة ست وتسعين وستمئة،
وسمح له بها. ثم لما قام شيخ المدرسة ^(٥) في تخليصها، وأفرج له عنها في سنة ثمان
وتسعين وستمئة كما تقدم، أو كان صاحب الزاوية نوزع في هذه القطعة من
الأرض، فتوسل إلى أخذ توقيع ثان بها من الملك المظفر بيبرس الجاشنكير،
فأنعم له بذلك على خلاف ما هو الشرع، ولم يقدر شيخ التقوية على رفعه، إما
لقوة جاهه، وإما لكونه رأى أن في ذلك مشقة مع كونها قطعة لطيفة لا تحتمل
المنازعة، ومع كونه ما حصل له الإفراج عن بقية الأرض إلا بسعى كبير، خصوصا
وقد أخذ منه نصف الروضة بكماله ولم يفرج عنه كما تقدم، فرأى السكوت
أروح له.

ثم لما كان في حدود سنة سبعين وسبعمئة جعلت هذه الزاوية جامعا، وكان
الجاعل لذلك فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين أبى بكر، ريس
الخلافة، وكان البسطامى أولا لما بنى الزاوية ووقفها جعل النظر فيها لنفسه أيام

(١) في الأصل، جـ: بها.

(٢) ما بين القوسين ليس في الأصل.

(٣) ليست في جـ.

(٤) في الأصل: المملوك.

(٥) في الأصل: المدة.

حياته، ثم من بعده الأمير سيف الدين قطز^(١)، ثم للحاكم الحنفى بنفسه، وبتولية من شاء من الأجناد الأخيار.

قال: ولا ينظر فيه الحاكم الحنفى بنفسه أكثر من مدة شهر واحد فما دونه. انتهى.

لخصت ذلك من كتاب وقفه، وتاريخه فى مستهل ربيع الآخر سنة ثمان وسبعائة.

(١) هذه اللفظة ليست فى الأصل.

ذكر حكم هذه الجزيرة من حيث إقامة الجمعة^(١) فيها وهل هي بلد مستقلة أو لا ؟

قد سئلت عن ذلك قديما فأجبت بجواب مختصر: أنها بلد مستقلة تقام فيها الجمعة مستقلة عن الجمعة التي تقام بمصر، ولا يقال إنها منضمة إلى الفسطاط حتى تمتنع إقامة الجمعة فيها بناء على ما نص عليه الإمام الشافعي رحمه الله 1 في الأم من أنه يمتنع تعدد الجمعة في البلد الواحد، ولا يجتمع في بلد وإن عظم وضاق الجامع.

وأقول هنا زيادة على ذلك: وجه كونها بلدا مستقلة أمور منها:

تأخر فتحها عن فتح الحصن مدة أشهر.

ومنها ما تقدم نقله عن أرباب التواريخ أنها صارت في زمن العبيدية 2 مدينة عامرة بها وال وقاض، وأنه كان يقال: مصر والقاهرة والجزيرة، وهذا صريح في أنها بلد مستقلة كما أن كلا من مصر والقاهرة بلد مستقل، وانفرادها بوال وقاض دليل في كونها بلدا مستقلا تقام به الجمعة.

أخرج البيهقي في سننه 3 "عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه سئل عن القرى

(١) ورد مكانها في جـ: الجماعة والجمعة.

1 هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الهاشمي القرشي المطلبی، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، يعرف بناصر السنة، كان أحذق قرشي في الرمي، وبرع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث فنبغ فيهما، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ.
2 العبيدية: أي الدولة الفاطمية التي استمرت من سنة ٣٥٨ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ.
3 السنن الكبرى (٣/١٧٨).

التي بين مكة والمدينة: ما ترى في الجمعة فيها ؟ قال: نعم، إذا كان فيهم أمير فليجمعوا".

وأخرج البيهقي أيضا 1 عن جعفر بن برقان قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى الكندي: انظر محل قرية أهل قرار ليسوا بأهل عمرة ينتقلون، فأمر عليهم أميرا ثم مره فليجمع بهم".

وأخرج البيهقي أيضا 2 عن الوليد بن مسلم، قال: "سألت الليث بن سعد، فقال: كل مدينة أو قرية فيها ^(١) جماعة وعليهم أمير أمروا بالجمعة فليجمع بهم، فإن أهل الإسكندرية ومدائن مصر، ومدائن سواحلها، كان يجمعون الجمعة على عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان بأمرهما، وفيها رجال من الصحابة".

وأخرج عبد الرزاق 3 في مصنفه 4 عن نافع، قال: "كان ابن عمر يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعيب ^(٢) عليهم".

وأخرج 5 عن ابن جريج، قال: "قلت لعطاء: ما القرية الجامعة ؟ قال: ذات الجماعة والأثر والقصاص، والدور المجتمعة غير المتفرقة والآخذ بعضها ببعض كهيئة جدة، قلت: فجدة جامعة ؟ قال: والطائف. قال: وإذا كنت في قرية جامعة فنودى للصلاة من يوم الجمعة فحق عليك أن تشهدها".

وأخرج الدارقطني والبيهقي في سننها 6، عن جابر بن عبد الله قال: "مضت

(١) في ب: في. وفي ج: أو.

(٢) في الأصل: يجيب. وما أثبتناه هو الموافق لما في مصنف عبد الرزاق.

1 السنن الكبرى، الموضع نفسه.

2 السنن الكبرى، الموضع نفسه.

3 هو أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، من أهل صنعاء، من حفاظ الحديث الثقات، أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل وغيره. توفي سنة ٢١١ هـ.

4 المصنف (٣/١٧٠).

5 المصنف (٣/١٦٨).

6 سنن الدارقطني (٢/٣)، والسنن الكبرى للبيهقي (٣/١٧٧).

السنة أن في كل ثلاثة إماما، وفي كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وفطر وأضحى، وذلك أنهم جماعة".

وأخرج الطبراني في الكبير 1، والدارقطني في سننه 2 عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: « على الخمسين جمعة، ليس فيما دون ذلك ». ولفظ الطبراني: « الجمعة على الخمسين رجلا، وليس على ما دون الخمسين جمعة ».

فتقرر بهذا كله أن الروضة بلد مستقل تقام بها الجمعة، وأول ما أقيمت بها في زمن الحاكم بأمر الله بعد أن صارت مدينة عامرة، ولم تكن فيما تقدم كذلك، فلذا لم تقم بها في الصدر الأول مع رغبة الناس إذ ذاك في الصلاة خلف الأمير والخليفة، فإنه الذي كان يقيم الجمعة بنفسه، وكان عبورهم من الروضة إلى الفسطاط على الجسر سهلا عليهم، فكانوا يصلون خلف الأمير أو الخليفة بجامع عمرو.

فائدة:

قال السبكي 3: "الأماكن أربعة:

* أحدها: مصر جامع، وحكمه واضح.

* والثاني: القرى المتباعدة، لا يجوز إقامة الجمعة فيها عند أبي حنيفة لا واحدة ولا كثيرة، وعندنا تجوز واحدة.

* الثالث: ربض مصر، وهو الأبنية المتصلة بالمصر، وحكمه حكم المصر على قول الرافعي والأكثرين أن المسافر إذا جاوز السور لا يقصر فيه الصلاة حتى يفارق العمران، فمتى أقيمت فيه الجمعة مع إقامتها في المصر كان كالتعدد في المصر. وأما

1 المعجم الكبير (٨/ ٢٤٤).

2 سنن الدارقطني (٤/ ٢).

3 هو أبو الحسن تقي الدين على بن عبد الكافي بن علي السبكي الأنصاري الخزرجي، فقيه ومحدث وأصولي ولغوي، وهو والد تاج الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى، انتقل بين القاهرة والشام، وولى قضاء الشام، ثم اعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي بها سنة ٧٥٦ هـ.

على قول النووى: أنه يقصر إذا جاوز البيوت قبل مجاورة العمران، فقياسه أن يكون الخارج عن السور كقرية متصلة لا تجوز فيها الجمعة عند أبى حنيفة، وتجاوز عندنا.

قال: وإذا جوزناها فهل يكون ما حول السور كله قرية واحدة يقتصر فيها على جمعة واحدة، أو نقول ما كان متصلا بعضه ببعض فى حكم قرية واحدة لا يجوز التعدد، وما كان منفصلا فحكمه حكم القرية، وإذا تفاصلت أبنية خارج السور فكل أبنية اجتمعت وانفصلت عن الأخرى لم يلزمها حكم الأخرى، فيجوز التعدد فيها بهذا الطريق؟ وهذا على قول النووى محتمل، وهو فى مذهبنا، وأما على مذهب أبى حنيفة فلا يأتى أصلا.

قال: ثم هذا الاحتمال المذكور مشروط بالانفصال مع عدم اسم جامع بين الأبنية المتفاصلة، وإلا فالتفاصل قد يحصل فى المصر أو فى القرية ولا أثر له، فإن الاسم الجامع بجميعها يجعلها شيئا واحدا، فالتفاصل مع عدم اسم جامع على هذا الاحتمال يجعلها كالقرى فهى شبه قرية".

قلت: وهذا من السبكى تقرير نفيس يستدل به على أن الروضة بلد مستقل، حيث كان يقال فى القديم: مصر والقاهرة والجزيرة، فأفردت الروضة باسم مستقل. ويؤخذ منه أيضا أن جزيرة أروى - وهى الجزيرة الوسطى - قرية مستقلة تقام فيها جمعة على انفرادها، ولا تضم لمصر ولا للقاهرة، وكذا حكم بولاق، ولذا قال السبكى:

"* الرابع: قرية متصلة بالمصر قريبة من السور أو المصر الذى ليس عليه سور مستقلة، فيحتمل أن يقال: إنها تابعة للمصر فى حكمه لقربها، فهى كالربض، ويحتمل أن يقال: إنها مستقلة كالمنفصلة عن المصر وعن غيرها من القرى انفصالا ظاهرا، بحيث تعد مستقلة بعدها غير تابعة.

وقال الشافعى فى (الأم): فى القرى الصغار المتصلة لا أحب إقامة الجمعة فيها. وظاهر ذلك يقتضى الجواز، وقد صرح بالكراهة لاتصالها، لا سيما إذا كان أهلها

يسمعون النداء من المصر. وعند مالك لا تقام الجمعة فيها، بل يجب على أهلها أن يأتوا إلى المصر، إلا أن يكون بينها وبين المصر ثلاثة أميال". هذا كله كلام السبكي.

قلت: للروضة شبه بهذا الرابع، من حيث القربة من الفسطاط وسماع النداء منه، لكن يبعدها الفصل بينهما بالنيل، خصوصا في أيام زيادته، فيبعد أن يقال بكراهة إقامة الجمعة فيها وتكليف السعى إلى الفسطاط لما فيه من المشقة الظاهرة، فجعلها من القسم الثانى أقرب، وقد كان أهل الجيزة في زمن عمرو بن العاص يحضرون الجمعة معه في جامع الفسطاط، وكان ذلك سهلا عليهم بعبور الجسر، ثم إن عقبة ابن عامر الصحابي رضي الله عنه أمرهم - في زمن إمارته على مصر - أن يجمعوا في مسجد همدان، وهذا دليل قوى على أن الجيزة تفرد بإقامة الجمعة عن مصر لانفصالها بالنيل، والروضة مثلها في ذلك.

ثم قال السبكي: "(تقسيم آخر) ^(١): الأماكن خمسة: المصر، والربض المتصل به لا منفصلا ولا منفردا باسم، فليس بمصر ولا قرية ولا شبه قرية، ولكنه في حكم المصر، فهو جزء من البلد وليس ببلد. الثالث: قرية بعيدة عن المصر تجوز إقامة الجمعة فيها عندنا وعند المالكية، ولا تجوز عند أبى حنيفة. الرابع: قرية قريبة من المصر دون ثلاثة أميال تجوز إقامة الجمعة فيها عندنا، ولا تجوز عند المالكية ولا الحنفية. الخامس: شبه قرية، وهو ما كان بناء مفصولا خارجا عن مصر أو قرية، ولم ينفرد باسم خاص، فلا نقل فيه، ولكن على الاحتمال الذى قدمناه تجوز فيه الجمعة".

قلت: الروضة ليست من القسم الثانى ولا الخامس قطعا، بل هى إما من الثالث أو الرابع، ووجه كونها من الثالث تنزل انفصالها بالنيل منزلة بعد ثلاثة أميال.

فرع: هل تشترط في الذين تقام بهم الجمعة في الروضة أن يكونوا قاطنين بها حتى لا تنعقد بمن يأتى إليها متنزها من أهل مصر والقاهرة؟ فيه نظر، والأقرب أن لا يشترط ذلك، وأن الشرط أن يكون المكان الذى تقام فيه الجمعة مكان إقامة لقوم

(١) ما بين القوسين ليس فى جـ.

في الجملة، حتى تسمى بلدا أو قرية، وأنه إذا حضر أهل المصر الذي هو بقربه انعقدت بهم الجمعة؛ لأنهم لا يسمون مسافرين عرفا بالمضى إلى مثل هذا المكان. ومرادى بذلك غير القرى البعيدة عن المصر بعدا ظاهرا، أو المنفصلة عنه انفصالا بعيدا، ثم ظهر لى أن يقال بمثل ذلك أيضا في البعيدة بعدا يمكن الآتى منه إلى الجمعة أن يرجع إلى أهله ويبيت عندهم، أخذوا من كون الصحابة رضى الله عنهم والتابعين كانوا يأتون الجمعة في مثل هذا المكان.

روى أن رسول الله ﷺ قال: « الجمعة على من أواه الليل » 1. وروى ابن أبى شيبة 2 عن أبى هريرة أنه كان يأتى الجمعة من ميلين، وعن الزهري 3 قال: "كانوا يشهدون الجمعة مع النبي ﷺ من ذى الحليفة". وعن أبى هريرة 4 قال: "تؤتى الجمعة من فرسخين". (وعن ابن عمر 5 أنه كان يأتى الجمعة من ثلاثة أميال. وعن أنس 6 أنه قال: "اشهد الجمعة من فرسخين") (1). وعن مجاهد 7 قال: "كانت العصبة من الرجال والنساء يجمعون مع النبي ﷺ فما يأتون رجالهم إلا من الغد".

وروى عبد الرزاق 8 عن معاذ بن جبل أنه كان يقول على منبره: "يا أهل قرد، يا أهل دايرة - قريتين من دمشق إحداهما على أربع فراسخ والأخرى على خمسة - إن الجمعة لزمتمكم، وأن لا جمعة إلا معنا".

(١) ما بين القوسين ليس في جـ.

- 1 أخرجه الترمذى في سننه (٣٧٦/٢) عن أبى هريرة. وقال: إسناده ضعيف. ونقل تضعيفه عن الإمام أحمد. وأخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٤١/١) من قول نافع مولى ابن عمر.
- 2 مصنف ابن أبى شيبة (٤٦٧/١)، ولكن عن عبد الله بن رواحة.
- 3 أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٤١/١).
- 4 أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٤١/١).
- 5 أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٤١/١)، ولكن عن عبد الله بن عمرو.
- 6 أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٤٠/١) من فعل أنس وليس من قوله.
- 7 أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٤١/١)، وأبو داود في المراسيل، ص ١٠٠.
- 8 أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٤/٣).

وروى عن معاوية 1 أنه كان يدعو أهل فتن فيقول: "اشهدوا الجمعة". وأهل فتن حينئذ من دمشق على أربعة وعشرين ميلا.

وفي الترمذى 2 حديث: "أمرنا النبي ﷺ أن نشهد الجمعة من قباء".

فهذه كلها تدل على انعقاد الجمعة بمن يأتى من بعض القرى والبلاد المتقاربة إلى بعضها، ولو ضبط ذلك بما لم يصل إلى مسافة القصر لم يكن بعيدا.

* ذكر رباط المشتهى:

قال المقرئى 3: هذا الرباط بروضة مصر، وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين محمد الكازرونى. قال: والله در شيخنا العارف شهاب الدين أحمد الشاطر الدمنهورى، حيث يقول:

بروضة المقياس صوفية هم منية خاطر والمشتهى
لهم على البحر أياد علت وشيخهم ذاك هو^(١) المنتهى

وحكى سبط الشيخ عمر بن الفارض فى أول ديوانه، قال: حكى لى ولد الشيخ، قال: كان الشيخ يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى فى أيام النيل، ويحب مشاهدة البحر، وفيه قال من أبيات:

وطنى مصر وفيها وطرى ولعنى مشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يوما فوجد^(٢) قصارا يضرب مقطعا على حجر وهو يقول:

(١) فى ب، جـ: له.

(٢) فى ب، جـ: فسمع.

1 أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه فى الموضع نفسه.

2 سنن الترمذى (٣٧٤/٢) عن رجل من أهل قباء. وقال الترمذى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد روى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى هذا، ولا يصح.

3 الخطوط (٤٢٩/٢).

قطع قلبى ذا المقطع فلبنا^(١) يصفو أو يتقطع

قال: فلم يزل يكرر هذا السجع كل يوم، ويضطرب اضطرابا شديدا، ويتواجد وجدا عظيما، ويتقلب على الأرض، ويسكن اضطرابه حتى يظن أنه قد مات، ثم يستفيق، ويتكلم معنا بكلام ما سمعنا مثله قط، ثم يعود إلى حالة وجدته، ولم يزل على هذا الحال من حين سمع قول القصار حتى توفي ﷺ.

* ترجمة الشيخ عبد الرحمن الجذامى:

قال شيخ الإسلام سراج الدين بن الملقن 1 - ومن خطه نقلت - فى كرايس فيها تراجم الأولياء: الشيخ عبد الرحمن بن موسى بن خلف الجذامى، الصالح الخير ذو الكرامات، عرف بالروضى لسكناه بها، أخذ عنه شيخنا على الدميرى وغيره، وكان مقصودا بالزيارة والتبرك. مات بروضة مصر فى منتصف رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

وفى تاريخ المقرئى: فى سنة ست عشرة وسبعمائة مات الشيخ نور الدين الكنانى المقرئ ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى بروضة مصر.

وفيه^(٢): فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ العارف المسلك بهاء الدين محمد الكازرونى ليلة الأحد خامس ذى الحجة بزاوريته التى يقال لها المشتهى بالروضة، أخذ عن أحمد الحريرى خادما ياقوت العرشى^(٣) خادما أبى العباس المرسى، عن الشيخ أبى الحسن (الشاذلى، وصحبته زمانا. وفى (إنباء الغمر بأبناء العمر) 2 لشيخ الإسلام والحفاظ أبى الفضل بن حجر: محمد بن عبد الله

(١) فى ب: فالنسا. وفى ج: طالما.

(٢) أى: فى تاريخ المقرئى.

(٣) فى ب، ج: الحبشى. وكتب فى هامش الأصل: لعله الحبشى. وكلاهما صواب، فهو ياقوت العرشى الحبشى.

1 هو أبو حفص، سراج الدين عمر بن على بن أحمد الأنصارى الشافعى، المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادى آش (بالأندلس)، ومولده ووفاته بالقاهرة، وله ثلاثمائة مصنف. توفى سنة ٨٠٤ هـ.

2 (٤٩/١).

الكازرونى الشيخ بهاء الدين، قدم مصر فصحب الشيخ أحمد الحريرى، صاحب الشيخ ياقوت العرشى، تلميذ الشيخ أبى العباس^(١) المرسى، وانقطع بعده فى المشتهى من الروضة، وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه، وكان الشيخ أكمل الدين كثير التعظيم له، وانقطع إليه البدر البشتكى، وكتب له أشياء كثيرة من تصانيف الشيخ محى الدين بن عربى، وكان يكثر الثناء عليه، وكانت وفاته فى ذى الحجة، وأرخه ابن دقماق ليلة الأحد خامس ذى القعدة.

* ذكر المنتهى:

ذكره المقرئى فى الخطط، وبيض له فلم يذكر فيه شيئاً، وقد سكن به من الصوفية السادة الوفائية.

* ترجمة سيدى محمد وفا الأكبر والد أهل البيت الوفائى:

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى كتابه (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة): محمد بن محمد بن محمد أبو الوفاء الشاذلى، أخذ عن الشيخ ياقوت العرشى وغيره، ونبغ فى النظم وإنشاء قصائد على طريقة ابن الفارض، واشتهر. مات فى ربيع سنة خمس وستين وسبعمائة.

وفى (إنباء الغمر) 1: أبو الحسن على بن محمد بن أبى الوفاء محمد الشاذلى الصوفى، ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان يقظاً حاد الذهن، اشتغل بالوعظ والأدب، وكان أبوه معجباً به، وأذن له فى الكلام على الناس وهو دون العشرين، وكان أكثر أوقاته بالروضة قرب المشتهى، وله من التصانيف (الباعث على الخلاص من سوء الظن بالخواص) 2، رد فيه على الحافظ زين الدين العراقى فى كتابه الذى سماه (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)، وله كتاب (الكوثر

(٣) ما بين القوسين ليس فى ب.

1 (٣٠٨/٢).

2 ورد فى إنباء الغمر باسم: الباعث على الخلاص فى أحوال الخواص.

المترع في الأبحر الأربع)، وديوان شعر، وموشحات، وفصول مواعظ. وكان مالكي المذهب. مات بالروضة في ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة.

وأخوه شهاب الدين أحمد^(١) صاحب أحوال، وهو أسن من علي، وعلى هو الأشهر. مات في شوال سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، وله ست وخمسون، ونبغ له ولد، وهو أبو الفضل عبد الرحمن ابن الشيخ شهاب الدين، كان ذكيا حسن الأخلاق لطيف الطباع، له الشعر الفائق، غرق في بحر النيل هو ومحمد بن عبيد البشكاسي، وقاضي المالكية جمال الدين عبد الله بن التنسي^(٢)، وذلك في سنة أربع عشرة وثمانمائة 1.

وقال العيني 2: كانوا اجتمعوا في منطرة بالروضة، وأرادوا الركوب في مركب إلى الآثار، فامتنع أبو الفضل أشد الامتناع، فلم يزلوا به حتى ركب، وحكى أنه لما ركب قال لرفقته: عجبا أن نجونا من الغرق. فلم يتم كلامه حتى انقلب المركب.

ورأيت بخط بعض أصحابنا المؤرخين، قال: حكى لي من أثق به أن أبا الفضل المذكور جاء يوما إلى الروضة ليعدي إليها، فوقف ينتظر المعدية، فإذا بها انقلبت وغرق فيها^(٣) منهم رجل من أصحابه، ولم يطلع به ولا وجد، فتمنى أبو الفضل أن يموت غريقا يستره البحر من الغاسل، ويستريح من هول الموت والقبر، فحصل له ما تمنى، غرق وفتش عليه فلم يوجد، مع الفحص عنه أياما.

(١) ليست في جـ.

(٢) في ب: المعتبني. وفي جـ: القنسي.

(٣) جاء مكان هذه اللفظة في ب، جـ: منها جماعة.

1 إنباء الغمر بأبناء العمر (٢/٤٩٨).

2 هو أبو محمد، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، العيني الحنفى، أصله من حلب، من كبار المحدثين، ولى في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون. توفي سنة ٨٥٥ هـ.

قلت: الغرق وإن كان شهادة فقد استعاذ منه النبي ﷺ، فقال في دعائه: « وأعوذ بك أن أموت غريقا » 1، وأنا أحب ما يحببه النبي ﷺ، (وأكره ما كرهه) ^(١)، وأسأل ما سأله، وأستعيذ مما استعاذ منه، حبا فيه واتباعا لسنته، واقتداء به في كل شيء، والله إنى لأود لو لدغتنى عقرب في عمري مرة لأكون قد اقتديت به في ذلك، فإنه ﷺ قد لدغ بها مرة أو أكثر 2، فأتمنى لو وقع لى ذلك، فإنى لم ألدغ بها في عمري قط، وأحب الميتات إلى الموتة التى مات بها رسول الله ﷺ شهادة بالسم. وبذلك مات أبو بكر الصديق، والحسن سبط رسول الله ﷺ ورضى عنهما، وخلق لا يحصون من أكابر العلماء.

وفى كتاب (صلة التكملة لوفيات النقلة) ^(٢) تأليف الحافظ عز الدين الحسينى: مجد الدين محمد ابن الأمير أبى العلا بن أبى بكر بن مبارك بن أبى طالب النجمى، الموصلى الأصل، المصرى المولد والدار، المعروف بابن أخى ^(٣) المهتر، بكسر الميم، وسكون الهاء، وفتح التاء ثالث الحروف، وآخره راء، ولد فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وسمع من أبى الفضل بن كرم بن محمد بن أبى الصقر، وأبى على الحسن بن عبد الرحمن الأنصارى، وأبى محمد عبد القادر بن أبى عبد الله البغدادى، وأبى المكارم عبد الله بن الحسن السعدى، وغيرهم، وحدث، سمعت منه، وكان فاضلا ^(٤) نبىلا وجيها، وتولى عدة ولايات، وهو من بيت رئاسة وتقدم. مات فى ثانى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، ودفن بالروضة، حضرت الصلاة عليه ودفنه. انتهى.

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.

(٢) فى ب: صلة التكملة لوفيات النقلة. وفى جـ: صلة الرحم التكملة لوفيات النقلة. وكلاهما خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) هذه اللفظة ليست فى ب، جـ.

(٤) فى ب، جـ: حاذقا.

1 أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٣٥٦/٢) عن أبى هريرة بلفظ « أن أموت غرقا ». قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣١٨/٢): رواه أحمد، وفيه إبراهيم بن إسحاق، ولم أجد من وثقه، وبقيّة رجاله ثقات.
2 أخرجه ابن أبى شيبّة فى مصنفه (٤٤/٥)، (١٠١/٦)، والطبرانى فى المعجم الصغير (٨٧/٢) كلاهما عن على بن أبى طالب. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١١/٥): إسناده حسن.

الكلام على النيل

* ذكر وروده في القرآن :

قال التيفاشي 1 في كتاب (سجع الهديل): لم يسم نهر من الأنهار في القرآن سوى النيل في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ 2. قال: أجمع المفسرون على أن المراد باليم هنا نيل مصر. انتهى.

وقال الإمام الجليل الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم الرازي 3 في تفسيره: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَيْهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ قال: هو النيل. وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ 4. وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ 5.

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في (فتوح مصر) 6: حدثنا (عبد الله بن صالح، وعثمان بن صالح، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن حبيب) ^(١)، عن

(١) جاء مكان ما بين القوسين بياض بالنسخ المخطوطة. وأثبتناه من فتوح مصر لابن عبد الحكم.

1 هو شرف الدين، أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون القيسي، المعروف بالتيفاشي، نسبه إلى تيفاش، قرية بأفريقيا، ولد بها، وتعلم بمصر وتوفي بها سنة ٦٠١ هـ.

2 سورة القصص، الآية ٧.

3 هو أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم التميمي الخنظلي الرازي، من كبار الحفاظ للحديث وعلماء الجرح والتعديل. توفي سنة ٣٢٧ هـ.

4 سورة الزخرف، الآية ٥١.

5 سورة الشعراء، الآيتان ٥٧، ٥٨.

6 فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٧.

عبد الرحمن بن شماسه المهري، عن أبي رهم السماعي رضي الله عنه قال: كانت مصر قناطر وجسورا بتدبير وتقدير، حتى إن الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها، فيحبسونه كيف شاءوا ويرسلونه حيث شاءوا، فذلك قوله تعالى فيها حكى في قول فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. ولم يكن في الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنان بحافتي النيل من أوله إلى آخره في الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد، وسبعة خلج: خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج صف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، وخليج سردوس، جنات متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، والزرع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء، وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا، لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ 1. وقال: والمقام الكريم: المنابر، كان بها ألف منبر. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ 2. قال ابن أبي حاتم في تفسيره: أخبرنا أبو يزيد القراطيسي فيما كتب إلى، أنبأنا أصبغ، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول في قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ﴾، قال: هي مصر، وليس الربى إلا بمصر، والماء حين يرسل يكون الربى عليها القرى، لولا الربى ^(١) لغرقت القرى. وقال الإمام أبو بكر بن المنذر في تفسيره: حدثنا حاتم، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن محمد بن زياد، قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله تعالى: ﴿إِلَى رِبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، قال: مصر. وقال: حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا بشار بن موسى، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير في الآية، قال: الربوة: المنتشر من الأرض. والقرار: المستوى. والمعين: الماء الجارى.

(١) في ب، ج: الرى.

1 سورة الدخان، الآيتان ٢٥، ٢٦.

2 سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

وقال جوبير في تفسيره: عن الضحاك، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن عيسى عليه السلام كان يرى العجائب في صباه إلهاما من الله تعالى، ففشا ذلك في اليهود، وترعرع عيسى، فهمت به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه، فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْيَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. أخرجه الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة عيسى عليه السلام في تاريخ دمشق 1.

وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ 2، قال الليث بن سعد: هي مصر، بارك فيها بالنيل. حكاه أبو حيان في تفسير ^(١) البحر 3.

وقال القرطبي 4 في هذه الآية: الظاهر أنهم ورثوا أرض القبط. وقيل: أرض الشام ومصر. قاله الحسن وقتادة وغيرهما 5.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ 6، قال قوم: الأرض الجرزي هي أرض مصر، لا مطر لها، فيسوق الله إليها النيل. وقواه الحافظ عماد الدين بن كثير 7 في تفسيره 8.

(١) في ب، ج: سيرة.

1 تاريخ دمشق (٤٧/٣٧٦).

2 سورة الأعراف، الآية ١٣٦.

3 البحر المحيط (٤/٣٧٦).

4 هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، من كبار المفسرين، كان ورعا متعبدا. توفي سنة ٦٧١ هـ.

5 الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/٢٧٢).

6 سورة السجدة، الآية ٢٧.

7 هو أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، البصري الأصل نسبة لبصري الشام، الدمشقي الشافعي، حافظ ومفسر وفقه ومؤرخ، وهو تلميذ للحافظ المزي وابن تيمية. توفي سنة ٧٧٤ هـ.

8 تفسير القرآن العظيم (٣/٤٦٤).

* ذكر أسمائه :

قال الداراني ^(١) في ديوان الأدب: النيل فيض مصر. وقال التيفاشي: قد ذكرت العرب النيل في أشعارها، وضربت به الأمثال. قال قيس بن معدى ^(٢) كرب، فيما أورده الجاحظ في كتاب الأمصار:

ما النيل أصبح زاخرا بمدوده وجرت له ريح الصبا فجرى بها ^(٣)

وقال ابن دريد في الجمهرة: اليم فسروه في التنزيل البحر، وزعم قوم أنها لغة سريانية، والله أعلم.

وقال المسعودي 1: نهر النيل من سادات الأنهار وأشرف البحار؛ لأنه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر صاحب الشريعة، وقد ذكر الحكماء أنه إذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار، وإذا غاض زادت، فزيادته من غيضاها، وغيضه من زيادتها، وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر؛ لكبره واستبحاره. انتهى.

وفي الخطط 2 للمقريزي: قال في كتاب هردسقوس: نهر النيل هو الذى يسمى يادون ^(٤)، مخرجه خفى، ولكن ظاهر إقباله من أرض الحبشة.

* ذكر الأحاديث الواردة في النيل :

قال الإمام أحمد في مسنده 3: حدثنا ابن نمير، حدثنا عبيد الله بن حبيب بن

(١) في الأصل: الفارابي. وفي ب: الدارقطني.

(٢) في ب، ج: عدى.

(٣) في ب، ج: لها.

(٤) كذا ورد هذا الاسم بالنسخ الخطية. وورد في الخطط (٥٣/١): باون.

1 هو أبو الحسن، على بن الحسين بن علي المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود، من أهل بغداد، أقام بمصر، وتوفي فيها، وهو مؤرخ رحالة بحثة، وكان معتزليا. توفي سنة ٣٤٦ هـ.

2 (٥٣/١).

3 المسند (٢٨٩/٢).

عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ». أخرجه مسلم في صحيحه 1.

وقال الإمام أحمد في مسنده 2 أيضا: حدثنا عفان، حدثنا همام، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك، أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال: « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات ». أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما 3.

قال (ابن السني في الطب النبوي: حدثنا أبو محمد بن صاعد، حدثنا ^(١) العباس بن يزيد الرملي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا إدريس بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان ».

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه 4 في تفسيره المسند: حدثنا محمد بن عبد الله [بن إبراهيم، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا سعيد بن سابق، حدثني مسلمة ابن علي، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: « أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهران العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ 5 فإذا كان عند خروج

(١) ما بين القوسين لم يرد في ب، جـ.

1 صحيح مسلم (٢١٨٣/٤).

2 المسند (٢٠٩/٤).

3 صحيح البخاري (١١٧٣/٣)، وصحيح مسلم (١٥٠/١).

4 هو أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، المعروف بابن مردويه الكبير، حافظ مؤرخ مفسر، من أهل أصبهان. توفي سنة ٤١٠ هـ.

5 سورة المؤمنون، الآية ١٨.

يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرغ من الأرض القرآن، والفهم كله، والحجر من ركن البيت، ومقام إبراهيم الخليل، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ 1، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خيرها». أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد 2، والحافظ ضياء الدين المقدسي في صفة الجنة.

وشاهده ما أخرجه الحاكم في المستدرک 3 وصححه، من طريق المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «يوشك أن تطلبوا في قراكم هذه طستا من ماء فلا تجدونه، يروى كل ماء إلى عنصره، فيكون بالشام بقية المؤمنين والماء».

وفي غريب الحديث 4 لابن قتيبة في حديثه عليه الصلاة والسلام: «نهران مؤمنان ونهران كافران: أما المؤمنان فالنيل والفرات، وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ»، قال ابن قتيبة: إنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه؛ لأنها يفيضان على الأرض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤنة، وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لأنها لا يفيضان على الأرض، ولا يسقيان شيئاً إلا قليلاً، وذلك القليل بتعب ومؤنة. فهذان في الخير والنفع كالمؤمنين، وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين.

وأخرج ابن مردويه في تفسيره عن الكلبي في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ الآية 5: حدثني أبو صالح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بي فانطلق بي الملك، فانتهي بي إلى نهر الخمر، فإذا

1 سورة المؤمنون، الآية ١٨.

2 تاريخ بغداد (٥٨/١). وأخرجه أبو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن (١٢١٨/٦).

3 المستدرک على الصحيحين (٥٤٩/٤)، ولكنه موقوف على عبد الله بن مسعود.

4 لم نجده في النسخة المطبوعة من غريب الحديث لابن قتيبة، ولكن أورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٦٩/١).

5 سورة محمد، الآية ١٥.

عليه إبراهيم عليه السلام. فقلت للملك: أى نهر هذا؟ فقال: هذا نهر دجلة. فقلت: إنه ماء. فقال: إنه ماء فى الدنيا يسقى الله به من يشاء، وهى ^(١) فى الآخرة خمر لأهل الجنة. قال: ثم انطلقت مع الملك إلى نهر الرب، فقلت للملك: أى نهر هذا؟ قال: هذا جيحون، وهو الماء غير آسن، وهو فى الدنيا ماء يسقى به من يشاء، وهو فى الآخرة ماء غير آسن. ثم انطلق فأبلغنى نهر اللبن الذى يلي القبلة، فقلت للملك: أى نهر هذا؟ فقال: هذا نهر الفرات. فقلت: هو ماء. فقال: هو ماء يسقى الله به من يشاء فى الدنيا، وهو لبن فى الآخرة لذرية المؤمنين الذين رضى الله عنهم وعن آبائهم. ثم انطلق بى الملك فأبلغنى نهر العسل الذى يخرج من جانب المدينة. فقلت للملك الذى أرسل معى: أى نهر هذا؟ قال: هذا نهر مصر. قلت: ما هو؟ قال: هو ماء يسقى الله به من يشاء، وهو فى الآخرة عسل لأهل الجنة».

وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس 1 من حديث حذيفة مرفوعاً: « خراب مصر من جفاف النيل ».

وفى الميزان 2 للذهبي ^(٢) من طريق سفيان بن وكيع، حدثنا يونس بن بكير، عن أبى إسحاق، عن عبيد الله بن يزيد، عن عبد ^(٣) الله بن معتب، (عن أبى هريرة مرفوعاً: « لو التمستم النيل لوجدتم فيه من ورق الجنة »). عبد الله بن معتب ^(٤) الأزدي ليس بذاك، وأورده (ابن الوردي) ^(٥) فى كتاب خريدة العجائب بلفظ: قال رسول الله ﷺ: « إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها ».

(١) فى ج: وهو.

(٢) فى الأصل: للوهبى. وهو خطأ، إذ صاحب كتاب ميزان الاعتدال فى نقد الرجال هو الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

(٣) فى ج: عبيد.

(٤) جاء مكان ما بين القوسين فى ج: قال.

(٥) فى الأصل: ابن الوردى. وما بين القوسين ليس فى ج.

1 لم نجده فى النسخة المطبوعة من مسند الفردوس.

2 ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٤/ ٢٠٤).

وقال أبو الشيخ 1 في كتاب العظمة 2: حدثنا أحمد بن هارون بن روح أبو (١) بكر، حدثنا علي بن الوليد، حدثنا حسان بن محمد بن الجراح ابن أخي وكيع، ثقة، حدثنا يونس بن بكير، حدثني محمد بن إسحاق، حدثني سعيد بن زيد، أحسب أنه ابن شجاع المصري، عن عبد الله بن معتب مولى الزبير، عن أبي هريرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم فيه من ورقها ».

* ذكر الآثار الموقوفة:

قال ابن عبد الحكم في (فتوح مصر) 3: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن كعب الأخبار أنه كان يقول: "أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا: فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة".

وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده 4: حدثنا سعيد بن شرحبيل، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير قال قال كعب (٢): "نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة. قال: فأطفا الله نورهن ليصيرهن (٣) إلى الجنة". أخرجه البيهقي في البعث والنشور، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 5.

(١) في ج: بن.

(٢) هذه اللفظة مثبتة من ج. وهي موافقة لما في سند الحارث (٢/٩٤٤).

(٣) هذه اللفظة مثبتة من ج. وكذا في مسند الحارث (٢/٩٤٤).

1 هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، وصفه الذهبي بأنه حافظ أصبهان ومسند زمانه، كان صالحا خيرا. توفي سنة ٣٦٩ هـ.

2 العظمة (٤/١٤١٩).

3 فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٦٣.

4 مسند الحارث (زوائد مسند الحارث) للهيثمي (٢/٩٤٤).

5 تاريخ بغداد (١/٥٥).

وقال الخطيب في تاريخه 1: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أنبأنا أبو على عيسى بن محمد الطوماري، حدثنا (أحمد بن محمد) ^(١) البراء ^(٢)، حدثنا عبد المنعم بن إدريس، حدثني أبي قال: "ذكر وهب بن منبه أن في ربض ^(٣) الجنة نهرا من أنهار الجنة، فهو أصل أنهار الأرض ^(٤) كلها، التي أظهرها الله سبحانه حيثما أراد أن يظهرها، وأن النيل نهر العسل في الجنة، ودجلة نهر اللبن في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان وجيحان نهرا بأرض الهند وهما نهرا الماء في الجنة".

وقال ابن عبد الحكم 2: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن ربيعة، عن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان سأل كعب الأحماس: "هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا؟ قال: إى والذي فلق البحر لموسى، إنى لأجده في كتاب الله يوحى إليه في كل عام مرتين: يوحى إليه عند جريه: إن الله يأمرك أن تجرى، فيجرى ما كتب الله له، ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل عد حميدا". أخرجه القضاعى في كتاب عجائب مصر من وجه آخر عن ابن ^(٥) لهيعة.

وقال ابن عبد الحكم 3: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة ^(٦)، عن واهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: "نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب. فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر الله كل نهر أن يمدده، فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله

(١) في ج: محمد بن أحمد.

(٢) ما بين المعقوفتين من صفحة ١٧١ إلى هنا ليس في ب.

(٣) في الأصل: ربض. والربض: الناحية. يقال: ربض المدينة، أى: ما حولها.

(٤) في ج: الأصل.

(٥) في النسخ المخطوطة: أبى.

(٦) في ب، ج: ربيعة.

1 تاريخ بغداد (٥٦/١).

2 فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٦٣.

3 فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٦٢. وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/١٤٢).

له الأرض عيوننا. فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره". أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ 1.

وأخرجه القضاعى فى عجائب مصر من وجه آخر عن ابن^(١) لهيعة.

وأورد ابن زولاق 2 وغيره عن عبد الله بن عمرو قال: "لما خلق الله آدم مثل له الدنيا مشرقها ومغربها، وسهلها وجبلها، وأنهارها وبحارها، وبناءها وخرابها، ومن يسكنها من الأمم، ومن يملكها من الملوك. فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة، تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة، فى سفحه أشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة. فدعا آدم فى النيل بالبركة، ودعا فى أرض مصر بالرحمة، وبارك على سهلها وجبالها".

وأورد غيره عن عبد الله بن سلام قال: "مصر أم البركات، تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب، وإن الله يوحى إلى نيلها فى كل عام مرتين، مرة عند جريانه، فيوحى الله إليه: إن الله يأمرك أن تجرى كما تؤمر. ثم يوحى إليه ثانية: إن الله يأمرك أن تغيض^(٢) حميدا، فيغيض^(٣). وإن بلد مصر بلد معافاة، وأهلها أهل عافية، وهى آمنة ممن يقصدها بسوء، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه، ونهرها نهر العسل، ومادته من الجنة، وكفى بالعسل طعاما وشرابا".

(١) فى ج: أبى.

(٢) فى ب: تقبض.

(٣) فى ب: فيقبض.

1 سورة الدخان، الآية ٢٥.

2 هو أبو محمد، الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان بن زولاق، الليثى بالولاء، مؤرخ مصرى، ولى المظالم فى أيام الفاطميين بمصر، وكان يظهر التشيع لهم. توفى سنة ٣٨٧ هـ.

وأورد ^(١) عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم يرفعه: « إن الله يقول يوم القيامة لساكني مصر يعدد عليهم: ألم أسكنكم مصرًا، فكنتم تشبعون من خبزها، وتروون من مائها؟ » 1.

وقال ابن عبد الحكم 2: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة، عن عياش بن عباس القتباني، عن حنش ^(٢) بن ^(٣) عبد الله الصنعاني، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام نائماً إلى جنب حام، فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر، فأجابه سام ولم يجبه حام، فدعا عليه أن يجعل ولده أذلاء، وأن يجعلهم عبيدا لولد سام. فلما سمع مصر دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح، وقال: يا جدى قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا أحد من ولده، فاجعل لى دعوة من دعوتك. ففرح نوح ووضع يده على رأسه، وقال: اللهم إنه قد أجاب دعوتى؛ فبارك فيه وفى ذريته، وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدنيا، واجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذلها لهم، وقوهم عليها.

(وقال الليث بن سعد) ^(٤) عن يزيد بن أبى حبيب، عن سالم بن ^(٥) أبى سالم، عن عبد الله بن عمرو قال: "إنى لأعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر. قال فقلت له: ما يخرجنا منها يا أبا محمد، أعدو؟ قال: لا، ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا، يغور فلا يبقى منه قطرة حتى يكون فيه الكثبان من الرمل، وتأكل سباع الأرض حيتانه".

(١) زاد بعدها فى ج: غيره.

(٢) فى الأصل: حنس. وفى ب، ج: عنس. وصوبناه من فتوح مصر، ص ٥٩، وتهذيب الكمال (٧/٤٢٩).

(٣) فى النسخ الخطية: عن. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه؛ فالذى يروى عن ابن عباس هو حنش بن عبد الله الصنعاني. انظر: تهذيب الكمال (٧/٤٢٩، ٤٣٠).

(٤) جاء مكان ما بين القوسين فى ج: وحكى.

(٥) فى الأصل: عن. وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه. انظر: تهذيب الكمال (١٠/١٤١).

1 لم نقف على تحريجه مع وفرة المصادر الحديثة التى نرجع إليها.

2 فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٩.

وعن وهب بن منبه قال: "خرب مصر من انقطاع النيل، واختلاف الجيوش فيها" 1 .

وعن عبد الله بن الصامت قال: "إن أسرع الأرضين خرابا البصرة ومصر. قيل: وما يخرّبهما وفيهما عيون الرجال والأموال ؟ فقال: يخرّبهما القتل الأحمر والجوع الأغبر، كأني بالبصرة كأنها نعامه جائمة، وأما مصر فإن نيلها ينضب - أو قال ييبس - فيكون ذلك خرابها" 2 .

وقال قاسم بن أصبغ: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة، عن الشيباني أنه قال: "تهلك مصر غرقا أو حرقا" 3 .

وقال أبو (١) الحسن بن الخير بن الموصلي الفراء في فوائده: أخبرنا الحسين بن الصميدع الإنطاكي، حدثنا محمد بن المبارك، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن (٢) عبد الله بن دينار: أن كعبا كان يقول: "خرب الجزيرة اختلاف الجيوش فيها، وخرب أرمينية الصواعق، وخرب مصر انقطاع نيلها".

* ذكر كلام الناس في منبع النيل ومخرجه وزيادته :

قال صاحب (مباهج الفكر) 4: ذكر أبو الفضل (٣) قدامة بن جعفر في كتاب (الخراج): أن جميع ما في العمور من الأنهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا، منها ما يجري من المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب، ومنها ما

(١) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٢) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٣) زاد بعدها في ج: بن.

1 أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/٨٨٢).

2 أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/٩٠٧)، (٤/٩١٥).

3 أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/٩١٦).

4 هو كتاب: مباهج الفكر ومناهج العبر، لمحمد بن عبد الله الأنصاري الكتبي، المعروف بالوطواط، المتوفى سنة ٧١٨ هـ.

جريانه كنهـر النيل من الجنوب إلى الشمال، ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون.

قال: فأما النيل فذكر قدامة أن انبعائه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار، كل خمسة منها تصب إلى بطيحة 1، ثم يخرج من كل بطيحة نهران، وتجرى الأربعة أنهار إلى بطيحة كبيرة في الإقليم الأول، ومن هذه البطيحة يخرج نهر^(١) النيل.

وذكر صاحب 2 كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق): أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى، منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين، يأكلون من وقع إلهيم من الناس، ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانه وبحر الحبشة، فإذا خرج النيل منها شق بلاد كورى، ثم بلاد منر^(٢): طائفة من السودان بين كانم والنوبة، فإذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربها^(٣) إلى المغرب، وانحدر إلى^(٤) الإقليم الثانى، فيكون على شطيه عمارة النوبة، وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى، ثم يشرف إلى الجنادل^(٥)، وإليها تنتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الأعلى صعودا، وهناك أحجار مخرسة لا مرور للمراكب عليها إلا فى وقت زيادة النيل، ثم يأخذ إلى الشمال، فيكون على شرقى مدينة أسوان من الصعيد الأعلى، ثم يمر بين جبلين مكتنفين لأعمال مصر شرقى وغربى إلى الفسطاط، فإذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين: أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند

(١) فى الأصل: لهم.

(٢) فى الأصل: نتر.

(٣) فى ج: غربها.

(٤) فى ج: من.

(٥) فى ب، ج: الجداول.

1 البطيحة: بطن المسيل.

2 صاحبه هو الشريف محمد بن محمد الإدريسي الصقلى. وكان تأليفه لهذا الكتاب فى منتصف المائة السادسة من الهجرة.

دمياط، ويسمى بحر الشرق. والآخر - وهو عمود النيل ومعظمه - حتى يصب في بحر الروم عند رشيد، ويسمى بحر الغرب.

ومسافة النيل من منبعه إلى أن يصب في رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخاً، وقيل: إنه يجري في الخراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان شهرين، وفي بلاد الإسلام شهراً، وليس في الأرض نهر يزيد حين تنقص الأنهار غيره، وذلك أن زيادته تكون في القيظ الشديد في شمس السرطان والأسد والسنبلة. وروى أن الأنهار تمده بمائها.

وقال قوم: إن زيادته من ثلوج يذوبها الصيف، وعلى حسب مددها تكون كثرة وقلته.

وذهب آخرون إلى أن زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة.

وذهب آخرون إلى أن زيادته على اختلاف الرياح، وذلك أن الشمال^(١) إذا هبت عاصفة تهيج البحر الرومي، فيدفع إليه ما فيه منه فيفيض على وجه الأرض، فإذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر، فيسترجع منه ما رده إليه فينقص.

وزعم آخرون أن زيادته من عيون على شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه.

وقال آخرون: إن مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف، وإنه يخرق البحر الأخضر، ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان، فيسير ما شاء الله إلى أن يأتي إلى بحيرة الزنج. قالوا: ولولا دخوله في البحر الملح وما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدة حلاوته.

وزيادته بتدرج وترتيب في زمان مخصوص ومدة معلومة، وكذلك نقصه. ومنتهى زيادته التي يحصل بها الري لأرض^(٢) مصر ستة عشر ذراعاً^(٣) - والذراع

(١) هذه اللفظة ليست في الأصل. والشمال: اسم للريح التي تهب من جهة الشمال.

(٢) في ج: لأهل.

(٣) وردت كلمة "ذراع" في الأصل مذكرة غالباً، مؤنثة أحياناً، وقد أثبتناها كما هي لجواز الأمرين.

أربعة وعشرون أصبعا - فإن زاد على الستة عشر ذراعا واحدا ازداد في الخراج مائة ألف دينار لما يروى من البلاد العالية. والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعا. هذا في مقياس مصر. فإذا انتهى فيه إلى ذلك كان في الصعيد الأعلى اثنين وعشرين ذراعا؛ لارتفاع البقاع التي يمر عليها ويسوق الرى إليها. فإذا انتهت زيادته فتحت خلجانا وترع^(١) يجرى الماء فيها يمينا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل، حكمة دبرت بالعقول السليمة وقدرت، ومنافع مهدت في الزمن القديم وقررت.

ويحصل لأهل مصر يوم وفائه الستة عشر - التي هي قانون الرى - سرور شديد بحيث يركب الملك في خواص دولته الحرايق^(٢) المزينة إلى المقياس، ويمد فيه سباطا، ويخلق العمود الذي يقاس فيه، ويخلع على القياس ويعطيه صلة مقررة له. وقد ذكر بعض المفسرين أنه يوم الزينة الذي وعد فرعون موسى ~~بالجنة~~ بالاجتماع فيه. هذا كله كلام مباهج الفكر.

وفي الخطط 1 للمقريزي: ذهب قوم إلى أن زيادة النيل إنما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر المالح، فإذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الأراضي، فإذا حصل الجزر^(٣) تراجع البحر ونقص النيل، ووضع في ذلك كتابا. انتهى.

قلت: وقد ورد في المد والجزر حديث مرفوع 2، وقد اختلف في ضبط جبل القمر، فقيل: إنه بفتح القاف والميم، بلفظ القمر رفيق الشمس. قال التيفاشي: وإنما سمي بذلك لأن العين تقمر فيه إذا نظرت إليه لشدة بياضه.

(١) كذا رسمت بالنسخ المخطوطة. والوجه أن تكون منصوبة (ترعا).

(٢) في الأصل: الحرايق. وفي ب: المراكب.

(٣) في ج: الجز.

1 (٥٥/١).

2 الذي وقفنا عليه حديث موقوف عن ابن عباس أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٢/٥). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤/٨): رواه أحمد وفيه من لم أعرفه.

قال: وبذلك أيضا سمي القمر قمرا. قال: وهذا الجبل مستطيل من المشرق للمغرب، نهايته في ناحية المغرب إلى حد الخراب، ونهايته في المشرق إلى مثل ذلك، وهو نفسه بجملته في الخراب من ناحية الجنوب، وله أعراق في الهوى منها طوال ومنها دونها.

وذكر بعضهم أن ناسا انتهوا إلى هذا الجبل وصعدوه، فرأوا وراء بحرا عجاجا، ماءؤه أسود كالليل يشقه نهر أبيض كالنهار، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله، ويتشعب على قبو هرمس المبنية هناك، وزعموا أن هرمس الهرامسة - وهو إدريس عليه السلام - فيما يقال - بلغ ذلك الموضع وبنى به قبة.

وذكر بعضهم أن ناسا صعدوا الجبل، فصار الواحد منهم يضحك ويصفق بيديه، وألقى نفسه إلى وراء الجبل، فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك فرجعوا. وقيل: إن أولئك إذا رأوا حجر الباهت ^(١) وهي أحجار براقاة كالفضة البيضاء تتلألأ، كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت، وتسمى مغناطيس الناس.

وذكر بعضهم أن ملكا من ملوك مصر الأول ^(٢) جهز ناسا للوقوف على أول النيل، فانتهوا إلى جبال من نحاس، فلما طلعت عليها الشمس انعكست عليهم الأشعة الواقعة عليهم فأحرقتهم.

وقيل: إنهم انتهوا إلى جبال براقاة لماعة كالبلور، فلما انعكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليها ^(٣) أحرقتهم.

وقال بعضهم: جبل القمر - بضم القاف وسكون الميم وراء مهملة - جبل جزيرة تسمى جزيرة القمر بهذا الضبط، تحاذي جزيرة سرنديب، طولها أربعة أشهر في عرض (عشرين يوما) ^(٤)، وإليها ينسب الطائر القمري. ومن ضبطه كذلك

(١) في ج: الباهب.

(٢) هذه اللفظة ليست في ب، ج.

(٣) في ب، ج: عليهم.

(٤) جاء مكان ما بين القوسين في ج: شهرين.

ياقوت الحموى فى كتاب « المشترك وضعوا المختلف وقعا »، وعلى بن سعيد المغربى وغيرهما، ونقله الملك المؤيد إسماعيل فى كتاب تقويم البلدان.

وقال صاحب مرآة الزمان 1: ذكر أحمد بن بختيار أن العين التى فى أصل النيل هى أول العيون من جبل القمر، ثم ينبعث منها عشرة أنهار نيل مصر أحدها. قال: والنيل يقطع الإقليم الأول ثم يجاوزه إلى الثانى، ومن ابتدائه من جبل القمر إلى انتهائه إلى البحر الرومى ثلاثة آلاف فرسخ، ويبتدئ بالزيادة فى نصف حيران^(١) وينتهى إلى أيلول.

واختلفوا فى سبب زيادته، فقال قوم: لا يعلم ذلك إلا الله تعالى^(٢). وقال آخرون: سببه زيادة عيونه. وقال آخرون - وهو الظاهر -: سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبشة والنوبة، وإنما يتأخر وصوله إلى الصيف لبعده المسافة. ورد ذلك قوم بأن عيونه التى تحت جبل القمر تتكدر فى أيام زيادته، فدل على أنه فعل الله من غير المطر.

قال: وجميع الأنهار تجرى إلى القبلة سواء، فإنه يجرى إلى ناحية الشمال، وكذا العاصى بحماه. قال: ومتى بلغ ستة عشر ذراعاً استحق السلطان الخراج، وإذا بلغ ثمانية عشر ذراعاً. قالوا: يحدث بمصر وباء عظيم. انتهى.

وقال التيفاشى فى سجع الهديل: ذكر جماعة من المنجمين وأرباب الهيئة أن النيل يجرى من خلف خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف، ويأخذ نحو الجنوب إلى أن ينتهى إلى دمياط والإسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين فى الشمال. قالوا: فمن بدايته إلى نهايته اثنان وأربعون ومائة درجة، كل درجة ستون ميلاً وثلاث بالتقريب، فيكون طوله من الموضع الذى يبتدئ منه إلى الموضع الذى يصب فيه إلى

(١) فى ب: حنقران.

(٢) زاد بعدها فى ج: وهو الصواب.

1 مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزى، توفى سنة ٦٥٤ هـ.

البحر المالح ثمانية آلاف ميل وستمائة (وأربعون) ^(١) ميلا وثلاثا ^(٢) ميل على القصد والاستواء، وله تعريجات شرقا وغربا يطول ذكرها ^(٣) ويزيد على ما ذكرناه.

قال التيفاشى: زيادة النيل هبوب ريح تسمى الملتن ^(٤)، وذلك لسبين: أحدهما أنها تحمل السحاب الماطر خلف خط الاستواء، فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة. والثانى أنها تأتى فى وجه البحر المالح، فيقف ماؤه فى وجه النيل، فيتراجع حتى يروى البلاد.

وفى ذلك يقول الشاعر:

اشفع فللشافع أعلى يد عندى وأسنى من يد المحسن
فالنيل ذو فضل ولكنه الشكر فى ذلك للملتن

وقال المسعودى: قالت الهند: زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الأمطار. وقالت الروم: زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت. وقال القبط: هى من عيون فى شاطئيه يراها من سافر ولحق بأعاليه. وقال قوم: زيادته بريح الشمال إذا كثرت واتصلت تحبسه فتفيض على وجه الأرض. وقال قوم: سبب زيادته هبوب ريح تسمى الملتن، وذلك أنها تحبس السحاب الماطر خلف خط الاستواء، فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة، فيصل مدده إلى مصر بزيادة النيل، ومع ذلك فإن البحر المالح يقف ماؤه فى وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد، ويبتدئ النيل بالزيادة بقية بؤونة وهو حزينان، وأبيب وهو تموز، ومسرى وهو آب. فإذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله - وهو أيلول - إلى انقضائه ^(٥)، فإذا انتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الأرض، وفى سبعة عشر ذراعا كفايتها، فإذا

(١) فى ب: وأربعة عشر. وفى ج: وأربعة وعشرون.

(٢) فى ب: وثلاث.

(٣) فى ب، ج: بها.

(٤) وردت هذه اللفظة بالنسخ المخطوطة هكذا: الملتن. وصوبناها من الشعر الوارد بعد ذلك.

(٥) فى ب، ج: نقصانه.

زاد على ثمانية عشر عقبه حدوث وباء، وأكثر الزيادات ثمانية عشر، وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز تسعة عشر ذراعاً، ومساحة الذراع إلى أن يبلغ اثني عشر ذراعاً ثمانية وعشرون أصبعا، ثم يكون أربعة وعشرين أصبعا إلى نهايته 7، وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، وفي تلك السنة يكون الماء قليلاً. والأذرع التي يستسقى عليها بمصر ذراعان يسميان منكرا ونكيرا، وهما الذراع الثالث عشر والرابع عشر، إذا تخلفت الزيادة عنهما استسقى الناس بمصر، وكان الضرر الشامل لكل البلدان. وإذا تم خمسة عشر ودخل في ستة عشر كان فيه صلاح لبعض الناس ولا استسقاء فيه، وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان، وقد كانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعاً عامرها وغامرها؛ لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها، وقد تغير ذلك المعمول عليه في وقتنا هذا، وهو ستة خمس وأربعين وثلاثمائة: أنه إن زاد على الستة عشر ذراعاً أو نقص (عنها نقص) ^(١) من خراج السلطان.

قال: وقد كانت مصر في أول الزمان يركب أرضها ماء النيل بأسرها، ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلاً قليلاً حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر، وطرقوا للماء، وحفروا له الخلجان، وعقدوا في وجهه المسنات 2.

وذكر أرسطاطاليس 3 في كتاب الآثار العلوية أن النيل كان يطيف على أرض مصر فيملاً ما بين الجبلين، وكان الناس يسكنون بالمغائر في جبل المقطم، وكان فيه مغائر متسعة تنفذ إلى القلزم. كل مغارة تسع أهل مدينة.

وقال أحمد بن يوسف التيفاشي في كتاب سجع الهديل في أوصاف النيل: ذكر

(١) ما بين القوسين لم يرد بالأصل.

1 أى: نهاية عمود مقياس النيل بالروضة.

2 المسنات: جمع المسناة، وهى سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر، به مفاتيح للماء تفتح على قدر الحاجة.

3 هو طبيب يوناني، أتم دراسته في اليونان والإسكندرية، ثم أقام بروما، له نحو (٥٠٠) مؤلف في الطب والفلسفة. توفي حوالى سنة ٢٠٠ م.

أئمة التاريخ أن آدم عليه السلام أوصى لابنه شيث، فكان فيه وفي بنيه النبوة والدين، وإنه جاء إلى أرض مصر - وكانت تدعى بايلون - فنزلها، وسكن فوق الجبل، ثم استخلف من بعده ابنه أنوش، ثم ابنه قينان، ثم ابنه مهلاييل، ثم ابنه يرد، ثم ابنه خنوخ، وهو هرمس وهو إدريس النبي عليه السلام، فنظر في تدبير أمر مصر، وكان النيل يأتيهم سيحاً، فينحازون عن مسيله إلى أعالي الجبال والأرض العالية حتى ينقص، فينزلون فيزرعون حيث ما وجد والأرض برية، وكان يأتي في وقت الزراعة وفي غير وقتها. فجمع إدريس عليه السلام أهل مصر، وصعد بهم إلى أول مسيل النيل إليها، ودبر وزن الأرض ووزن الماء على الأرض، وأمرهم بإصلاح ما أراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض، وغير ذلك مما رآه من علم النجوم والهندسة والهيئة.

وكان أول من تكلم في هذه العلوم ووضع فيها الكتب ورسم فيها التعليم. ثم سار إلى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها، وجمع أهلها، وزاد في مسافة جرى النيل ونقص بحسب بطئه وسرعته في طريقه، حتى عمل حساب جريه ووصله إلى أرض مصر في زمن الزراعة على ما هو عليه الآن. فهو أول من دبر جرى النيل إلى مصر.

وقال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب أخبار مصر وعجائبها: عمقام أحد ملوك مصر، يقال: إن إدريس عليه السلام رفع في أيامه، وأنه رأى في علمه كون الطوفان، فبنى خلف خط الاستواء قصراً في سفح جبل القمر من نحاس، وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالاً من نحاس يخرج ماء النيل من حلوقها ويصب في بطحاة تنتهي إلى مصر، وفي هذا القصر عجائب.

وقال ابن الوردي في كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب: نهر النيل ليس في الدنيا أطول منه لأنه مسيرة شهرين في الإسلام، وشهرين في الكفر (وشهرين في البرية) ^(١)، وأربعة أشهر في الخراب، ومخرجه من جبل القمر خلف خط

(١) ما بين القوسين ليس في ج.

الاستواء، وسمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه أصلا لخروجه من خط الاستواء، وميله عن نوره وضوئه، يخرج من بحر الظلمة ويدخل تحت جبل القمر.

قال رسول الله ﷺ: « إن النيل يخرج من الجنة، ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها » 1.

وكان عمقام وهو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر، ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت جبل القمر، وبنى في سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمس وثمانون تمثالا من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل بمعاقد ومصاب وأحكام مدبرة، يجري الماء منه إلى تلك الصور^(١) والتماثيل، فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معلومة، فينصب إلى أنهار كثيرة، فيتصل بالبطيحتين، ويخرج منهما حتى يصل إلى البطيحة الجامعة، وعلى هذه البطيحة بلاد السودان (ومدينتها العظمى طرمى^(٢))، وبالبطيحة جبل معترض يشقها ويخرج نحو الشمال^(٣) مغربا، فيخرج النيل منه نهرا واحدا ويفترق في أرض النوبة، ففرقة إلى أقصى المغرب، وعلى هذه الفرقة غالب بلاد السودان^(٤)، والفرقة التي تصب إلى أرض مصر^(٥) منحدرًا من أرض أسوان تنقسم في بحرى البلاد على أربع فرق كل فرقة إلى ناحية، ثم تصب في بحر الإسكندرية، ويقال: إن ثلاثا منها تصب في البحر الشامى، وفرقة منها تصب في البحيرة المالحة التي تنتهى إلى الإسكندرية، والأذرع التي صنعها عمقام هى ثمانية عشر ذراعا، كل ذراع اثنان وثلاثون أصبعا، وما زاد على ذلك فهو صائر إلى رمال لا منفعة فيها، ولولا ذلك لغرقت البلاد.

(١) فى الأصل، ب: الصورة.

(٢) فى الأصل: طرفى.

(٣) ما بين القوسين ليس فى ب.

(٤) هذه اللفظة مثبتة من ج.

(٥) فى الأصل، ب: مجرى.

وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال ^(١) هناك وتسلك على البحر المظلم، وهى أحلى من العسل وأزكى رائحة من المسك، ولكنها تتغير بتغير المجارى، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال، ويمر فى شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها، وتزيد بترتيب وتنقص بترتيب - غير النيل، وسبب مده أن الله تعالى يبعث عليه الريح الشمالية فيتغير عليه البحر المالح، فيصير كالمسكن له، فيزيد حتى يعم البلاد، فإذا بلغ حد الرى بعث الله تعالى عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر.

وقال ابن المتوج فى كتاب إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل: من عجائب مصر النيل الذى يأتى من غامض علم الله تعالى فى زمن القيظ فيعم البلاد سهلا ووعرا، يبعث الله فى أيام مدده الريح الشمالى، فيصدر له البحر المالح. ويصير له كالجسر ويزيد، وإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وأوان الزراعة بعث الله الريح الجنوب فكنتسته وأخرجته إلى البحر المالح، وانتفع الناس بالزراعة.

وقال العلامة شيخ شيوخنا عز الدين بن جماعة 1 فى كتاب له فى الطب، ومن خطه نقلت: منبع النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف، وامتداد هذا الجبل خمس عشرة درجة وعشرين ^(٢) دقيقة، يخرج منه عشرة أنهار من أعين فيه، ترمى كل خمسة إلى بحيرة عظيمة مدورة، بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة، والبعد عن خط الاستواء فى الجنوب سبع درج وإحدى وثلاثون دقيقة، وهاتان ^(٣) البحيرتان ^(٤) متساويتان، وقطر كل واحدة

(١) فى ب، ج: حال.

(٢) كذا وردت بالنسخ الخطية. والوجه أن يقال: وعشرون.

(٣) فى ب: وهذان.

(٤) فى الأصل: البحيرتين. ولعله سبق قلم من الناسخ.

1 هو أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد، المعروف بعز الدين بن جماعة، عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان، أصوله من حماء، وتتلّمذ على ابن خلدون. توفى سنة ٨١٩ هـ.

خمس درج، ويخرج من كل واحدة أربعة أنهار ترمى إلى بحيرة مدورة في الإقليم الأول، بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الإقليم الأول، وقطرها درجتان، ومصب^(١) كل واحدة من الأنهار الثمانية في هذه البحيرة غير مصب الآخر. ثم يخرج من هذه البحيرة نهر واحد - وهو نيل مصر - ويمر ببلاد النوبة، ويصب إليه نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء في بحيرة كبيرة مستديرة، قطرها ثلاث درج، وبعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب إحدى وسبعون درجة. فإذا تعدى النيل مدينة مصر إلى مدينة يقال لها شطنوف تفرق هناك إلى نهرين يريان إلى البحر المالح، أحدهما يعرف ببحر رشيد، والآخر ببحر دمياط. وهذا البحر إذا وصل إلى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر أشمون يرمى إلى بحيرة هناك، وباقية يرمى إلى البحر المالح عند دمياط.

وذكر الجاحظ^(٢) في كتاب الأمصار أن مخرج نهر السند والنيل من موضع واحد، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما، وكون التمساح فيهما، وأن سبيل زراعتهم في البلدين واحد.

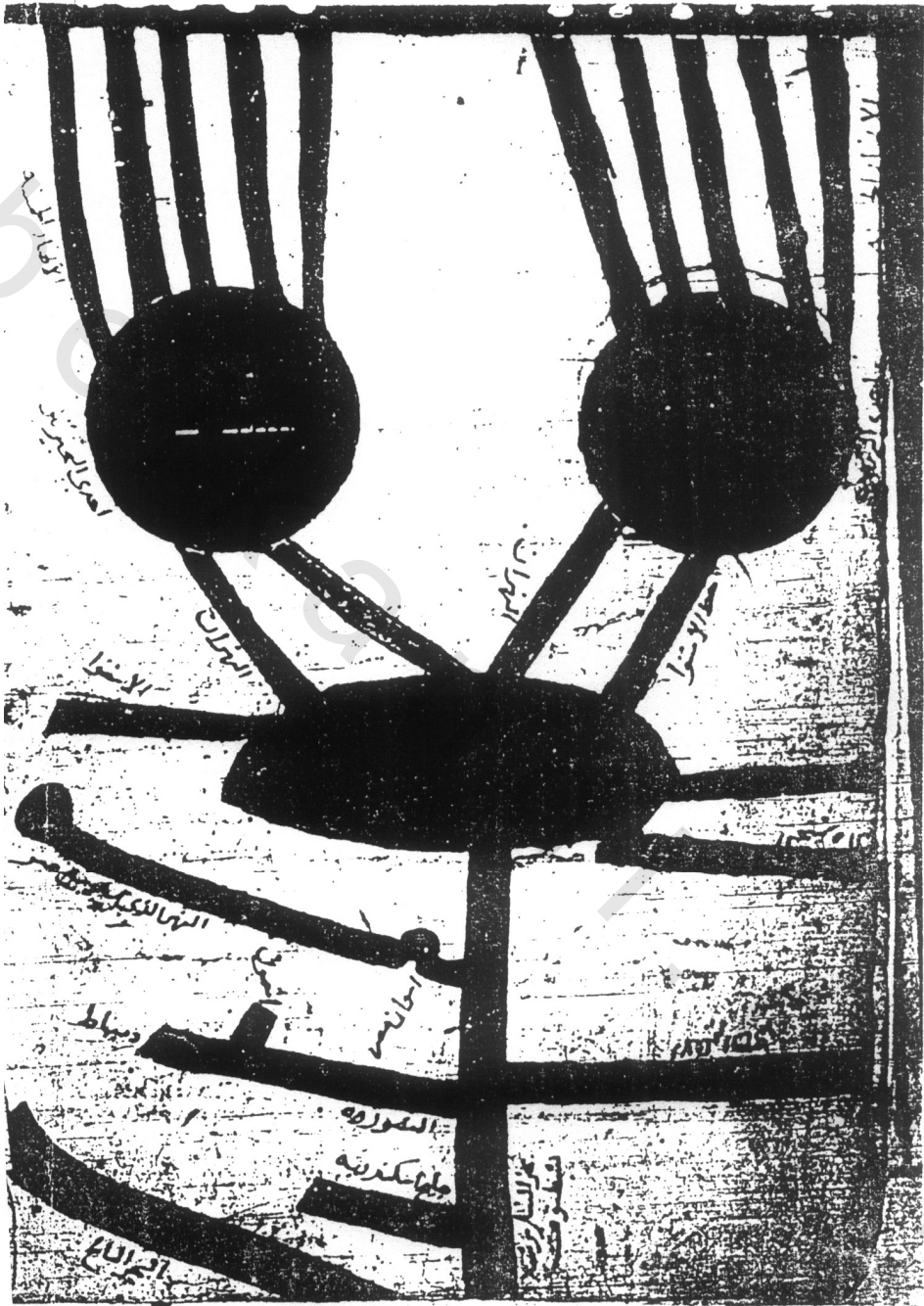
وقال المسبحي 1 في تاريخ مصر: في بلاد تكنه - أمة من السودان أرضهم تنبت الذهب - يفترق النيل فيصير نهرين، أحدهما أبيض وهو نيل مصر، والآخر أخضر يأخذ إلى المشرق فيقطع البحر المالح إلى بلاد السند، وهو نهر مهران.

وقال المسعودي: رأيت في كتاب (هراقيا): النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر، ومنبعه مبدأ ظهوره من اثنتي عشرة عينا، فتصب تلك المياه إلى بحيرتين هناك

(١) في ب، ج: وتصب. والصواب ما أثبتناه لموافقته لما بعده.

(٢) ليست في ج.

1 هو محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي، المعروف بعز الملك، أمير، مؤرخ، عالم بالأدب، كان على زى الأجناد. أصله من حران، ومولده ووفاته بمصر، اتصل بخدمة الحاكم ابن العزيز العبيدي صاحب مصر، وقلده البهنسا، ثم ولاه ديوان الترتيب. توفي سنة ٤٢٠ هـ.



(١) لم يرد هذا الرسم في: ب.

كالبطائح، ثم يجتمع الماء منها جاريا، فيمر برمال هناك وجبال، ويخرق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج، ويصب في بحر الزنج، ويجرى على وجه الأرض تسعمائة فرسخ، وقيل: ألف فرسخ، في عمران وخراب، حتى يأتي أسوان من صعيد مصر.

وقال القزويني 1 في عجائب المخلوقات: ليس في الدنيا نهر أطول من النيل لأنه مسيرة شهرين ^(١) في بلاد الإسلام، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة أشهر في الخراب إلى أن يخرج بجبال القمر خلف خط الاستواء، وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال، ويمتد في شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب - غيره.

وسبب مده أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيقلب عليه البحر المالح ^(٢)، فيصير كالسد له، فيزيد فيه البر والتلال، ويجرى في الخليجان يملؤها، وإذا بلغ الحد الذي هو تمام الرى أخرج الله الريح الجنوب فأخرجته من البحر، وانتفع الناس (بالزراعة مما) ^(٣) أروى من الأرض.

ولما كان زمان يوسف عليه السلام عمل مقياسا يعرف به قدر الزيادة والنقصان يزرعون عليه، وإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق، وذلك المقياس عمود قائم في وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها إذا زاد، وعلى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم، يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته، وأقل ما يكفى أهل مصر سنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعا، فإن زاد ستة

(١) في الأصل: شهر.

(٢) في ب، ج: الريح.

(٣) جاء مكان ما بين القوسين في الأصل: فيها.

1 هو زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري النجاري، مؤرخ، جغرافي، من القضاة، ولد بقزوين ورحل إلى الشام والعراق، وولى قضاء واسط والحلة في أيام المعتصم. توفي سنة ٦٨٢ هـ.

عشر ذراعا زرعوا ما يفضل عن عامهم، وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا، والذراع أربعة وعشرون أصبعا. فإذا استوى الماء كما ذكرنا عند المقياس كسر الخلجان حتى يملأ جميع أرض مصر، وتبقى التلال والرمال والقرى عليها، وسائر الأراضي تغمر بالماء^(١)، فإذا استوفت الأرض الماء ورويت زرعت بأصناف الزرع، وحينئذ يبرد الحر^(٢) ولا تنشف الأرض. فإلى أن يدرك الزرع عاد الوقت يأخذ في الحر حتى ينضج الزرع ويؤخذ في حصاده، وفي ذلك عبدة. انتهى.

وقال المقرئ في الخط 1: يقال إن النيل ينصب عشرة أنهار من جبل القمر، كل خمسة أنهار من شعبة، تتبحر تلك الأنهار العشرة من بحيرتين، كل خمسة أنهار تتبحر في بحيرة بذاتها، ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقول ويمتد إلى مدن هناك، ثم يصب في البحر الهندي، ويخرج من البحيرتين أيضا ستة أنهار في كل بحيرة ثلاثة أنهار، وتجتمع الأنهار الستة في بحيرة متسعة (تسمى البطيحة)^(٣)، وفيها تضرية جبل يفترق بها الماء نصفين، يخرج أحدهما من غربى البطيحة وهو نيل السودان، ويصير نهرا يسمى بحر الدمام، يأخذ مغربا ما بين سمقرة وغانة على جنوبى سمقرة وشمالى غانة، ثم تنعطف منه هناك فرقة ترجع جنوبا إلى غانة ثم تمر على مدينة برنسه^(٤)، ثم تأخذ تحت جبل من جنوبها خارج عن خط الاستواء إلى رميلة، ثم تتبحر في بحيرة هناك، وتستمر الفرقة مغربة إلى بلاد مالى والتكرور، حتى تنصب في البحر المحيط شمالى مدينة قلبتو. ويخرج النصف الآخر متشاملا آخذا على الشمال إلى شرقى مدينة (حيمى)، ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا إلى مدينة سحرت، ثم ترجع جنوبا، ثم تعطف^(٥) شرقا بجنوب

(١) فى ب، ج: بالبحر.

(٢) فى ب، ج: الجو.

(٣) ما بين القوسين ليس فى ج.

(٤) فى ب: فرسه. وفى ج: درنسه.

(٥) ما بين القوسين ليس فى ب، ج.

إلى مدينة سحرت، ثم إلى (مدينة مركة) ^(١)، وينتهى إلى خط الاستواء حيث الطول خمسة وستون درجة، ويتبحر هناك بحيرة، ويستمر عمود النيل قبالة تلك الشعبة في مدينة تسمى مقساملا ^(٢) آخذاً على أطراف بلاد الحبشة، ثم يتشامل ^(٣) على بلاد السودان إلى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل إلى أسوان، وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد إلى مدينة فسطاط مصر، ثم يصب في البحر الشامي، وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل (في أصله) ^(٤) ينحدر من جبال سود تبين على بعد كأن عليها الغمام، ثم ينفرق عنها فرقتين تصب إحداهما في البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي، والأخرى تصل إلى مصر حتى تصب في البحر الشامي.

ويقال: إنه في الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل في صحراء منقطعة، (ثم تجتمع الأنهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً في بلاد السودان. انتهى). ^(٥).

وقال الشيخ تقي الدين المقریزی في الخطط 1: لا نزاع أن يخرج نهر النيل من جبل القمر.

وقد ذكر أبو الحسن المسعودی في كتاب أخبار الزمان: كان النيل ^(٦) يتبدد على وجه الأرض، فلما قدم نقراوش الجبلی بن مصریم الأول بن مراكئیل بن دوايیل بن عربات بن آدم عليه السلام إلى أرض مصر ومعه عدة من بنى عربات واستوطنوها وبنوا بها مدينة إمسوس ^(٧) وغيرها من المدائن - حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم، ولم

(١) جاء مكان ما بين القوسين في ب: المدينة مركة. وفي ج: المدينة.

(٢) في ب: ملا.

(٣) في ب، ج: ينشأ.

(٤) ما بين القوسين ليس في ج.

(٥) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

(٦) هذه اللفظة ليست في الأصل.

(٧) في ب، ج: أشموسن.

يكن قبل ذلك معتدل الجرى، بل ينبطح ويفترق في الأرض حتى وجه إلى النوبة الملك نقراوش فهندسوه، وساقوا منه أنهارا إلى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها، وساقوا منه نهرا إلى مدينة إمسوس.

ثم لما خربت أرض مصر بالطوفان، وكانت أيام اليزدشير (بن قفط بن يبصر بن حام بن نوح عليه السلام) - عدل جنبتي النيل تعديلا ثانيا بعد ما أتلفه الطوفان.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف: لما ملك اليزدشير ^(١) - وهو أول من تكهن ^(٢) وعمل بالسحر ^(٣) واحتجب عن العيون - أرسل هرمس الكاهن (إلى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته، فعمل هناك التماثيل النحاس، وعدل) ^(٤) البطيحة التي ينصب إليها ماء النيل.

ويقال: إنه الذي عدل جنبتي النيل، وكان يغيض، وربما انقطع في مواضع. وهذا القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثلاثين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدبرة، وقنوات يجرى الماء إليها وينصب إليها إذا خرج من تحت جبل القمر حتى يخرج من تحت الصور ويخرج من حلوقها، وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة، وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب إلى الأنهار، ثم يصير منها إلى بطيحتين، ويخرج منها إلى بطيحة جامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل، وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذي يكون معه الصلاح لأهل مصر ويتنفع به أهلها دون الفساد، وذلك الصلاح لانتهاء ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون أصبعا، وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها إلى مشارب تخرج وتصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء، ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التي يمر عليها.

(١) ما بين القوسين ليس في ب.

(٢) في الأصل: تمكن.

(٣) في الأصل: بالجر.

(٤) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

قال: وكان الوليد بن دومع الغمليقي سنح له أن يخرج ليقف على مصب النيل، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه، وخرج في جيش كثيف، فلم يمر بأمة إلا أبادها، ومر على أمم السودان وجاوزهم، ومر على أرض الذهب فرأى فيها قضباناً ثابتة من ذهب، ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر، وسار حتى بلغ هيكل الشمس، وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال.

قال: وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج عن خط الاستواء. ونظر إلى النيل يخرج من تحته فيمر في طرائق كأنهار دقاق حتى ينتهي إلى حظيرتين، ثم يخرج منها إلى نهرين حتى ينتهي إلى حظيرة أخرى، فإذا جاوز خط الاستواء أمدته عين تجرى من ناحية نكران ^(١) بالهند، وتلك العين أيضاً تخرج من تحت جبل القمر إلى ذلك الوجه.

ويقال: إن نهر نكران ^(١) مثل النيل يزيد وينقص، وفيه التماسيح والأسماك التي مثل أسماك النيل، ووجد الوليد بن دومع القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الأول في وقت اليزدشير بن قفط.

(قالوا: ولما بلغ الوليد جبل القمر فرآه عالياً أعمل الحيلة إلى أن صعد عليه) ^(٢) ليرى ما خلفه، فأشرف على البحر الأسود الزفتي المتن، ونظر إلى النيل يجري عليه كأنهار الدقاق، فانتشر ^(٣) من ذلك البحر روائح متنتة هلك بها كثير من أصحابه، فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك.

وذكر قوم أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قمراً، بل نور الرحمن كنور الشمس عند غياها.

(١) في الأصل: سكران.

(٢) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

(٣) في ب، ج: فانتصرف.

قال: وقد ذكر قوم من أهل الآثار أن الأنهار الأربعة - سيحون وجيحون والفرات والنيل - تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم، وأن تلك الأرض من أرض الجنة، وأن تلك القبة من زبرجد، وأن حايذا من ولد العيص سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل، فأعطاه قوة على ذلك، وأنه قطع البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدميه منه شيء إلى أن وصل إلى تلك القبة. هكذا نقله المقریزی.

وذكر بعض الإخباريين أن حايذا لم يتنبأ، وأنه أوتى الحكمة، وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطى قوة على ذلك، فوصل إلى جبل القمر، وقصد أن يطلع إلى أعلاه فلم يقدر، فسأل الله تعالى فيسره عليه، فصعد فرأى خلفه البحر الزفتي، (وهو بحر أسود متتن الرياح مظلم، فرأى النيل يجري في وسطه كأنه السبيكة الفضية) ^(١).

وقد روينا قصة حايذا بهذا أسط من ذلك بالإسناد في جزء النيل المشهور.

أخبرني شيخنا قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني ^(٢)، وشيخنا الإمام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني، وشيخنا قاضي القضاة عز الدين أحمد ابن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم الكنانى الحنبلى، وحافظ الحجاز تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن فهد الهاشمى، والشيخ جلال الدين أبو هريرة عبد الرحمن بن أبي الحسن ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن الملقن إجازة منهم قالوا كلهم: أخبرنا حافظ العصر أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي إجازة عن أبي الفتح محمد ابن محمد الميديمى قال: أخبرتنا أمة الحق شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن بن محمد البكرى سماعا قالت: أنبأنا أبو حفص عمر بن طبرزد سماعا.

(١) ما بين القوسين ليس في ب، ج.

(٢) هذه اللفظة ليست في ج.

ح وأنبأني عاليا أبو عبد الله محمد بن مقبل الحلبي (مكاتب من حلب) ^(١)، عن الصلاح محمد بن أبي عمر المقدسي، عن أبي الحسن بن البخاري، عن ابن طبرزد قال: أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي وغيره قالوا: أنبأنا أبو الحسين ^(٢) أحمد بن محمد بن النقر، أنبأنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحيم المخلص، أنبأنا عبيد الله بن عبد الرحيم بن عيسى السكري قال: حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي وأبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطي قالوا: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث قال: حدثني الليث بن سعد قال: بلغني أنه كان رجل من بني العيص يقال له حايذ بن أبي شالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر، فأقام بها سنين، فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتي به جعل الله تعالى عليه أن لا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك، فسار عليه. قال بعضهم: ثلاثين سنة في الناس وثلاثين سنة في غير الناس، وقال بعضهم: خمسة عشر كذا، وخمسة عشر كذا، حتى انتهى إلى بحر أخضر، فنظر إلى النيل ينشق مقبلا، فصعد على البحر، فإذا رجل قائم يصلي تحت شجرة من تفاح، فلما رآه استأنس به وسلم عليه، فسأله الرجل: من أنت؟ قال: أنا حايذ بن أبي شالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. فمن أنت؟ قال: أنا عمران بن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. قال: فما الذي جاء بك يا حايذ؟ قال: جئت من أجل هذا النيل. فما جاء بك ههنا يا عمران؟ قال: جاء بي الذي جاء بك حتى انتهيت إلى هذا الموضع، فأوحى الله ^(٣) إلي أن أقف في هذا الموضع حتى يأتيني أمره. قال له حايذ: أخبرني يا عمران ما انتهى إليك من أمر هذا النيل؟ وهل بلغك في الكتب أن أحدا من بني آدم يبلغه؟ قال له عمران: نعم بلغني أن رجلا من بني العيص يبلغه، ولا أظنه غيرك. قال له حايذ: يا عمران أخبرني كيف الطريق إليه؟ قال له عمران: لست

(١) في الأصل: مكاتبه من ذلك.

(٢) في ب، ج: الحسن.

(٣) هذه اللفظة مثبتة من ج.

أخبرك بشيء إلا أن تجعل لى ما أسألك. قال: وما ذاك يا عمران ؟ قال: إذا رجعت إلى وأنت حى أقمت عندى حتى يوحى الله تعالى إلى بأمره ويتوفانى وتدفننى، فإن وجدتنى ميتا دفنتنى وذهبت. قال: ذلك لك على. قال له: سر كما أنت على هذا البحر، فإنك سترى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها، فلا يهولك أمرها، اركبها فإنها دابة معادية للشمس إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها، حتى يحول بينها وبينها حجبها، وإذا غربت أهوت إليها لتلتقمها، فتذهب بك إلى جانب البحر، فسر عليها راجعا حتى تنتهى إلى النيل، فسر عليه، فإنك ستبلغ أرضا من حديد، جبالها وأشجارها وسهولها من حديد، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس، جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة، جبالها وأشجارها وسهولها من فضة، فإن أنت جزتها وقعت فى أرض من ذهب، جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب، فيها إليك ينتهى علم هذا ^(١) النيل. فسار حتى انتهى إلى أرض الذهب، فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب وشرفة من ذهب وقبة من ذهب لها أربعة أبواب، فنظر إلى ما يتحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الأبواب الأربعة، أما ثلاثة فتغيب فى الأرض، وأما واحد فيسير على وجه الأرض وهو النيل، فشرب منه واستراح، وأهوى إلى السور ليصعد، فأتاه ملك فقال له: يا حديد، قف مكانك، فقد انتهى إليك علم هذا النيل. وهذه الجنة، وإنما ينزل 1 من الجنة. فقال: أريد أن أنظر إلى ما فى الجنة. فقال: إنك لن تستطيع دخولها اليوم يا حديد. قال: فأى شيء هذا الذى أرى ؟ قال: هذا الفلك الذى تدور فيه الشمس والقمر، وهو شبه الرحى. قال: إنى أريد أن أركبه فأدور فيه. فقال بعض العلماء: إنه قد ركبته حتى دار الدنيا. وقال بعضهم: لم يركبه. فقال له: يا حديد إنه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا، فإنه لا ينبغي لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء من الدنيا، إن لم تؤثر عليه شيئا من الدنيا بقى ما

(١) هذه اللفظة مثبتة من ب.

بقيت. قال: فبينما هو كذلك واقف إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصناف: لون كالزبرجد الأخضر، ولون كالياقوت الأحمر، ولون كاللؤلؤ الأبيض. ثم قال: يا حايد أما هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها. فارجع يا حايد، فقد انتهى إليك علم هذا النيل.

فقال: هذه الثلاثة التي تغيض في الأرض ما هي؟ قال: أحدها الفرات، والآخر دجلة، والآخر جيحان، فارجع. فرجع حتى انتهى إلى الدابة التي ركبها فركبها، فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب البحر، فأقبل حتى انتهى إلى عمران فوجده ميتا حين مات، فدفنه وأقام على قبره ثلاثا، فأقبل شيخ تشبه بالناس أغر 1 من السجود، ثم أقبل إلى حايد فسلم عليه، ثم قال له: يا حايد، ما انتهى إليك من علم هذا النيل؟ فأخبره، فلما أخبره قال له: هكذا نجده في الكتب، ثم طرى ذلك التفاح في عينه، وقال: ألا تأكل منه؟ قال: معي رزق أعطيته من الجنة، ونهيت أن أؤثر عليه شيئا من الدنيا. قال له: صدقت يا حايد، وما ينبغي لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء من الدنيا! وهل رأيت في الدنيا مثل هذا التفاح، إنما أنبتت له في الأرض ليست من الدنيا، وإنما هذه الشجرة من الجنة، أخرجها الله لعمران يأكل منها، وما تركها إلا لك، ولو قد وليت عنها لرفعت. فلم يزل يطريها في عينه حتى أخذ منها تفاحة فعضها، فلما عضها عض يده، ثم قال: أتعرفه؟ هو الذي أخرج أباك من الجنة. أما إنك لو سلمت بهذا الذي معك لأكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد، وهو مجهودك أن يبلغك، فكان مجهوده أن بلغه^(١). وأقبل حايد حتى دخل أرض مصر فأخبرهم بهذا. فمات حايد بأرض مصر.

وهذا الإسناد إلى عبد الله بن صالح قال: حدثني ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ

(١) في الأصل: يبلغه.

1 أغر: وصف من الغرة بضم الغين المعجمة، وهي البياض في الجبهة.

جَنَّتْ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ^(١) وَمَقَامٍ كَرِيمٍ^(٢) 1 قال: «كانت الجنات بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعا من أسوان إلى رشيد، وكان له سبعة خلج 2: خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج صف، وخليج الفيوم، وخليج المنتهى، متصلة لا ينقطع منها شيء (عن شيء)^(٣)، وتزرع ما بين الجبلين، كله^(٤) من أول مصر إلى آخرها ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض^(٥) مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا».

وبهذا الإسناد إلى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أنه كان على نيل مصر فرضة 3 لحفر خلجها، وإقامة جسورها، وبناء قناطرها، وقطع جزائرها^(٦) مائة ألف^(٧) وعشرون ألف فاعل معهم السطور والمساحى والأداة، يتعقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا.

(١) في النسخ كلها: وزروع. ولعله سبق لسان أو قلم، والصواب ما أثبتناه من سورة الشعراء، أما آيتنا سورة الدخان فهما ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

(٢) ما بين القوسين ليس في ج.

(٣) في الأصل: محله.

(٤) هذه اللفظة مثبتة من ج.

(٥) في ب: حازرها.

(٦) زاد بعدها في ب: فاعل.

1 سورة الشعراء، الآيتان ٥٧، ٥٨.

2 كذا جاءت: سبعة خلج. والمذكور على التفصيل بعدها ستة فقط.

3 الفرضة: محط السفن والمراكب.